المشرق

# في السلطة الحاكمة

لحضرة المنسنيور يوسف العلم النائب الاسقفي

خطاب تلاه في غرفة القراءة المارونية في حفلة عيد الجلوس اوّل ايلول سنة ١٩٠٢

لقد طالما بحث الائمّة والفلاسفة من ابعد عهد عن مصدر السلطة الحاكمة وذهبوا في بحثهم مذاهب. فالبعض على انّها من انتخاب الشعب والبعض الآخر على انّها من مصدر اعلى وهو الاصحّ لا بل هو الصحيح. قال ارسطاطاليس: ان مصدرها الطبيعة يعني ان الاب لمّا تكاثرت اولاده واحفاده وبينهم من وشائج الدم قيود مكينة ومن اواصر القرابة روابط شديدة لم تدعهم ينفكّون متقيّدين بحكم ولايته عليهم وتدبيره لهم اه. قال شيشرون: ان السلطة المدنية مثال السلطة الوالديّة وانْ هي الّا تمديدها او تماديها فمصدرها عنها دون شكّ اه. وكما وُلدنا اولادًا غير مستقلّين كذلك وُجدنا رعايا غير مستقلّين وكما ان الولد يحتاج الى من يربيهِ ويحافظ عليهِ كذلك لدى وجودهِ في حضن الالفة يحتاج الى من يسوسه ويحميه وكما وجدنا في مهود الولادة متواخين ومتقاربين من غير محالفة بيننا ولا معاهدة كذلك وجدنا في محاجر الالفة خاضعين منقادين ونحن ملتفّون ومؤتلفون والله هو الذي اوجد هاتين السلطتين الوالديّة والالفية عناية منهُ بالخير العام وعلى هذا المبدأ بُنيت معاهد ولاية اولئك الذين كانوا في اوائل الاجيال يُدعون آباء وقد تبقّت لهم مآثر وآثار بين جميع الامم والشعوب ولم يكن وقتئذٍ لعوامل الانتخاب ناصبٌ في امر نصبهم ولا رافع في رفعة مناصبهم اي لم يكن لهم ضلع في أمر ولاية آبائهم. فولاية الفريقين هي من احكام الطبيعة اي من

ترتيب الخالق الذي برأ هذه الخلائق وغرس فيها من طبعها ما يتكفّل بخير حياتها وراحتها
وزاد بعضهم هذا التعليل بياناً قال: « ولمّا كان مصدر الالفة من شريعة الطبيعة وكانت السلطة من مقتضياتها الضروريّة كان مصدر السلطة ايضاً من شريعة الطبيعة فليست اذن صادرة عن ارادة بشريّة بل هي حقٌّ بحكم الشريعة الطبيعيّة ملازم لحالة الالفة فلا يتعلق برضى اصحاب الالفة المتألفين ولكن الطبيعة التي اوجدت الالفة هي اولت السلطة لأنّها الواسطة الضروريّة لحفظ هيئة الالفة ونظامها. وبعبارة مختصرة نقول: ان الانسان ترتّب للسعادة والوسيلة الى السعادة هي الالفة والوسيلة الى رعاية الالفة انما هي الولاية وما هذه الّا السلطة الحاكمة » اه

يقول المعترضون ان الحاكم قد يقوم بانتخاب الشعب فولايتهُ اذن من الشعب كانتخابه. الجواب ان النتيجة غير ناهضة لان هذه الولاية هي من حقوق المنصب لا من متعلقات الانتخاب الذي هو من متعلّقات الشعب. على ان الولاية والانتخاب ليسا دائماً من مصدر واحد. وهذه الولاية الوالديّة فانّها ليست من رضى الاولاد ولا العيلة وان يكن الرجل لا يصير اباً عيلة الّا برضى زوجته لكن ولايتهُ الوالديّة على عيلتهِ ليست من رضاها بل هي من الطبيعة التي اولتهُ هذه الولاية الضروريّة لوظيفتهِ. كذلك قل في من انتُخب من الشعب حاكماً عليهم فولايتهُ لا تكون من الشعب بل هي من حقوق منصبهِ الذي يستلزم هذه الولاية حفظاً لنظام الالفة على انهُ لو كان الامر كما يزعمون وبئس ما يزعمون من ان مصدر الولاية هو من رضى الشعب وانتخاباته لم تكن هذه الولاية لتثبت في صاحبها الّا مقدار ما يثبت الجمهور على فكر واحد وقول واحد

يكفي ما اوردنا من اقوال الفلاسفة فلنأتِ الآن الى الكتاب المقدَّس فانَّ فيه البيّنات الساطعة والحجج القاطعة لاثبات مبحثنا هذا. قال الله تعالى: بي تتملَّك الملوك ( امثال ٨: ١٥ ). وقال دانيال (ص ٢ ): ليكن اسم الله مباركاً من الازل الى الابد لان لهُ الحكمة والجبروت وهو يغيّر الاوقات والازمنة ويعزل ملوكاً وينصب ملوكاً. وقال بولس الرسول رومية ( ١٣: ١ ) لتخضع كل نفس للسلطات السامية لان ليس سلطة الّا من الله والسلطات الكائنة هي مرتبة من الله

وما احسن ما قالهُ القديس اغوسطينوس بهذا الخصوص: « نحن لا نقول بان لاحد غير الله حقّاً لايلاء المملكة والملك. فهو في الآخرة يولي الابرار وحدهم ملك السماء. وامّا

هنا فانهُ يولي الملك من يشاء من الابرار كان او من الاشرار لكنهُ لا يشاء الّا العدل فالذي أعطى الحكم لاريوس هو عينه أعطاهُ لقيصر. والذي سلّط اغوسطوس هو الذي سلّط نيرون. والذي ولّى فسبسيانوس الكبير وابنهُ فسبسيانوس (طيطس) الصغير الملكين الجديرين بكل محبَّة هو الذي ولّى دوميطيانوس الظالم. وحتى لا نأتي على ذكر الجميع نقول ان الذي ملّك قسطنطين هو الذي ملّك يوليانوس العاصي» اه. فتبيّن من ذلك جليًّا ان الشعب لم يكن قطعًا مصدر السلطات السامية وان كان هو واسطة عقدها بانتخاباته احيانًا الّا ان حكمهُ في ذلك حكم الكرادلة في انتخاب البابا او حكم الرعايا في انتخاب اسقف او خوري فان انتخابهم لا يؤتي احدًا من هؤلاء السلطة القارنة لدرجته ومنصبه. فالسلطات اذن مصدرها الله لا رضى الناس وهذا عن حكمة سامية من الله جلّ جلالهُ لانهُ راعى في ذلك تأييد جانب السلطات ورعاية حقوقها بحيث لا تمسّها اغراض الرعايا واهواؤها التي لا تستقرّ على حالٍ واحد

ولكن ما لنا وهذه البينات وعندنا الآية الكريمة وهي قول المعلّم الالهي سيّدنا يسوع المسيح: أعطوا قيصر ما هو لقيصر. وكان قولهُ هذا فتوى على سؤال طرحهُ عليه بعض اليهود الذين كانوا يتوهمون انهُ لا يلزمهم الطاعة للملوك من غير امّتهم فازال الرب منهم هذا الوهم ودفعهُ بثلث حجج: (اولها) بانهُ اراهم صورة الملك المرسومة على اصناف العملة المتداولة بين ايديهم اذ طلب منهم دينارًا وسألهم لمن هي الصورة المرسومة عليه فقالوا: لقيصر. فلو لم يكن قيصر هو الملك عليهم لما ساغ لهُ ان يرسم صورتهُ على النقود المتداولة في المملكة. الحجة (الثانية) بقوله « اعطوا قيصر ما هو لقيصر واعطوا الله ما هو لله » يريد بذلك تذكيرهم بان الطاعة واجبة لقيصر وغيره من الملوك كما هي واجبة لله لان سلطة قيصر وامثال قيصر هي من الله فلا مناص لهم من عدم الطاعة والخضوع. الحجة (الثالثة) هي عمليتهُ فان اليهود المنوّه بهم اعلاه كانوا واقفين لهُ ولتلاميذه في المرصاد ليعرفوا ان كانوا ينقادون لاوامر قيصر ويقدّمون الاموال المرتبة لهُ على رعاياه. فالسيد المسيح قد عمل كما علّمهم في اعطاء قيصر ما هو لقيصر ولذلك أمر بطرس رسولهُ ان يذهب الى البحر وأمر حوتًا من حيتان البحر ان يوافيهُ باستير فاخذهُ بطرس ورجع فدفعهُ عن معلمه وعن نفسه لجباة الحكومة. فهذا تعليم المسيح وهذا عملهُ وعنهُ اخذ رسلهُ وعلماء الكنيسة ما قالوهُ بهذا الشان كما قدّمنا

وخلاصة المقال ان ديانتنا الالهيّة قد اوجبت علينا للحكومة واجبات ثلثاً: طاعتها. وتأدية مطالبها. ورعاية جانبها. وذلك لاوجه ثلثة: كون سلطتها من الله. كونها محامية لنا. كونها مصدر شرفنا وسعادتنا. وهذه كلها ضمّنها الرسول في عبارته القائلة «فلتخضع كل نفس للسلطة اذ لا سلطة الّا من الله» يريد انهُ لا يقدر احد من الناس ايًّا كان ان يعتذر عن عدم الطاعة للحكومة لانهُ لا يقدر ان يعتذر عن عدم الطاعة لله جلَّ جلالهُ لان السلطة المؤتاة للحكومة هي من الله. ومن ثمّة لا يكون الخضوع للانسان بل لله فلا يحطُّ خضوعه هذا بشيء من شرفهِ ولا ينتقص من حريتهِ اذ لا يكون خاضعاً لانسان مثلهِ لكن لسلطة الله المعطاة لذلك الانسان. وزاد قوله هذا بان قال: «ومن يقاوم السلطان فقد قاوم الله» اي فليكن الذي لا يطيع السلطان على حذر لانهُ ان نجا من بأس غضب السلطان لا ينجو من بأس غضب الله. ليت شعري لو اعتبر ذلك المقاومون لكفاهم زجرًا عن غرورهم وردعاً عن شرورهم لان حظهم انما يكون مع اولئك الذين تمردوا من الملائكة على العزة الصمدانية فاهبطتهم من الاعالي العلويّة وزجّتهم في المواقيد الابديّة التي اعدتها ايضاً للمتمردين نظيرهم على سلطتها في البشر

الواجب الثاني علينا للحكومة تأدية مطاليبها من اموال اعناق وارزاق وما اشبه. فالحكومة تحافظ على حياتنا واموالنا وترعى العدل والحقّ بيننا والملك هو حارس المملكة وحفيظها وملجأها وحماها وقائدها ومديرها فان اصابها من آفات الدهر مصاب صدّهُ وان طرقها من اعاديها طارق ردّهُ. ومن لنا في الملمّات غير الحكومات وهل لنا نصير من مظالم الايّام سواها وهل تعرف الرعايا غيرها امّا واباها. وهذه حوادث الزلازل وهذه مهالك الاوبئة كالطاعون والهواء الاصفر وهذه ضربات الجوع والجدب مَنْ رأينا في دَرْئها وانقاذ الناس من مخاليبها سوى الحكومات. فمن ثم يكون ما يترتب لها علينا من المطاليب ديناً واجب الوفاء وفرضاً لازم القضاء يلزم ان نؤدّيه عن طيبة نفس مع الشكر. وبه قال الرسول «ولهذا تؤدّون الجزية»

امّا الواجب الثالث علينا للحكومة فهو رعاية جانبها اي بذل كل ما لنا وعندنا في سبيل الدولة ورعاية شأنها والذبّ عن حوضها كأننا كلّنا جنود مجنّدة لخدمتها وان تكون خدمتنا لها صحيحة عن محبّة واعتبار لا بالظاهر فقط بل بالباطن ايضاً وبه قال الرسول: «ولذلك يلزمنا ان نخضع ليس من اجل الخوف فقط بل من اجل الضمير» وينالنا

بمقابلة خدماتنا هذه من جانب الحكومة الشرف والرفعة بما تنعم علينا من المناصب والوسامات والرتب فهذه مصادر شرفنا ورفعة شأننا وحقُّها ان تكون مجازاة لاعمالنا التي هي تستحق هذا الالتفات وعند ذلك يكون الشرف الصحيح

انهُ ليظهر لي من ملامح وجوهكم ايها الادباء الكرام انكم قد استحسنتم ما جئنا بهِ في هذه العجالة لجهة السلطة المدنية وما لها من المقدرة والمكانة والرفعة وكل ذلك من المولى جلَّ جلالهُ فانهُ هو الذي قد بنى معاليها على دعائم الشريعة الطبيعيَّة الازلية وجعل مصدرها من جانب عرشهِ السامي لانهُ قد اوجد الناس للالفة ونظام الالفة لا يقوم بدون سلطة. فمن ثمَّة رأى بحكمتهِ أن تكون هذه السلطة من نفس سلطته معزَّزة مؤيدة لا يستطيع البشر سبيلًا الى مسّها من جهة ولذلك قال: «بي تملك الملوك» و «لا سلطة الَّا من الله»

الَّا انهُ يبدو لنا أنها الاحبَّة هنا اعتباران هما من الاهميَّة على جانب: (الاوَّل) يلاحظ الديانة وشأنها في حق السلطة. (والثاني) ينظر في ماجريات الكبرياء البشريَّة في جانب السلطة. فالديانة قد عظَّمت السلطة كثيرًا ورفعت قدرها ورعت جانبها وعزَّزتهُ بكل ما يمكن. وبعكس ذلك الكبرياء البشريَّة فانهُ يثقل عليها اداء الطاعة والخضوع ولا تحبّ الَّا الاستقلال والانتقاد ولا تنقاد للسلطة الَّا رغمًا وعنوة. ولنخُض في سرّ هذين الاعتبارين فنقول: ان الديانة ترعى جانب السلطة لأنهما شقيقتها وكلتاهما اشتقَّتا من مصدر واحد لكن الديانة وُجدت في هذا الوجود قبلُ لأنها وُجدت حين وُجد آدم الانسان الاوَّل فلم يكن سواهُ يعرف الله ويحبهُ ويكرمهُ. ثم وُجدت حواء. فتكوَّنت الالفة معها ولكن لم يكن حينئذٍ مجالٌ لمجالي السلطة ثم ولد آدم وحوَّاء اولادًا فازهرت الالفة ومعها برزت السلطة وكانت هذه السلطة اوَّلًا منضوية في ظلال الابوَّة اذ كانت العيلة صغيرة وهي لمَّا تكاثرت وصارت قبيلة بل قبائل صارت تلك الابوَّة حكومةً والسلطة الوالديَّة او الرئيسيَّة صارت ملكية حاكمة كما قدَّمنا. ولمَّا كان الله هو موضوع الديانة ومصدرها ومرجعها الوحيد كانت الديانة هي الحافظة اتمَّ المحافظة على السلطة التي هي من الله وكلتاهما اي الديانة والسلطة هما من مبدأ واحد وهو الله وغايتهما واحدة وهي اسعاد البشر بالسعادة التي ترتبوا لها من الله. فهما بمنزلة يدين للجسم الادبي الانساني تتعاونان وتتنافسان في خدمتهِ ورعاية مصلحتهِ ولمَّا كان الانسان مركَّبًا من

نفس وجسد ومرتباً للالفة من اصل طبعه وكان مصدره الله وغايته الله تحتم ان تكون فيه الديانة والسلطة رعاية لحقوق المولى وحقوق العباد فلم يوجد شعب من دون ديانة ولا وجدت امة من غير سلطة . وعليه فالديانة قد امرت الناس بقضاء الحقوق التي عليهم للسلطة من اداء الطاعة ومال الاعناق والارزاق والاحترام لشأنها واجتناب الشر وتهديد اهل الثورة بعقوبة الله وعمل الصلاح فهذه كلها ذكرها الرسول في عبارته منصة

فيا حبّذا لو ائتمر الناس باوامر الديانة هذه فانهم لو فعلوا لصار الاستغناء عن الاستعانة بالقوات لاستحصال الاموال الاميرية ومنع الشرور واستتباب السكينة وعمل الصلاح وتوطيد اركان المهابة والطاعة . ولما كان حب الكبرياء يحمل الانسان على عدم الانقياد والخضوع لاوامر من كان نظيره من الناس أوضحت له الديانة ان خضوعه لصاحب السلطة انما هو خضوع حقيقي للمولى لان السلطة هي من الله وان مقاومته للسلطان انّما هي مقاومته لله وانه اذا نجا هنا من بطش السلطان لا ينجو هناك من بطش الله الديّان . فحاماة الديانة هذه عن الملوك هي اعظم محاماة واين صولة عساكرهم من صولة ربّ السماوات والارض الذي بصوته يزلزل الارض ويدك الجبال ويقض الصواعق وهو الذي قال كوني فكانت وهو الذي يطويها كالرداء لو شاء.

ومن ثمّة رأينا في كل الاجيال اصحاب السلطة العالية العاقلين المتدينين يحافظون كل المحافظة على الديانة ورعاية حقوقها في رعاياهم علماً منهم بان الديانة متى كانت راسخة القدم في قلوب الناس ساقتهم الى الطاعة وحب السلامة واجتناب المعاصي وان لها قوةً وسطوةً على النفوس في الجهر والسرّ والداخل والخارج لا تعادلها القوات البشريّة. هذا فضلاً عن كون الانسان اذا لم يكن متشبثاً باذيال الديانة لم يكن عضواً صالحاً للالفة ولا عبداً اميناً لمولاه ولا رجلاً نافعاً للمملكة واي قضية صحيحة توجد في من لا يعرف الديانة او بالحري لا يعرف الله

وها ان جميع الفلاسفة والائمة المشترعين قد اجمعوا على ان عماد الحكومات واركان شرائعها انما هو الديانة . قال افلاطون : ان الاستعانة بالله قبل كل شيء لهي من اوّل الواجبات اه . وارسطاطاليس رسم في شرائعه العبادة الالهيّة وهكذا رأى باقي الفلاسفة . وقد كان الرومانيّون شديدي التمسّك بعباداتهم ومثلهم باقي الامم والممالك كما نقرأ في تواريخ الاوّلين وذلك كما ابان المعلم روسّو لانّهم كانوا متّفقين على ان الحكومة

من دون ديانة لا تلبث ان يُثلّ عرشُها ويذلَّ بطشُها ولا تعود الرعايا تهاب سلطةً ولا ولاية. قال افلاطون ولقد اصاب: « ان اوَّل شيء يلزم الحكومة ان توجّه نظرها اليه انما هو رعاية جانب الديانة الصحيحة لان رجال الدولة لا تهذّبهم الّا هذه الديانة اذ ان عدم معرفة الله لاعظم الآفات على كل حكومة ومن يسعى بابعاد الديانة فقد سعى بتقويض اركان الالفة » اه

قال المعلّم ترتوليانوس: « انَّ من لا يعتقد بوجود الله يسهل عليه مخالفة الشريعة لافتكاره بانهُ يقدر ان ينجو من عقوبتها امّا بالفرار او بتحمُّل جزاء خفيف او قصير. امّا نحن الذين نؤمن بان الله يرى اعمالنا ونخاف ان يتعقّبنا عليها بعذاب دائم فترى ان تمسُّكنا بعمل المبرّات والحسنات خيرٌ لنا وازكى. ومن ترى يظنّ انهُ لولا الديانة كان القوي لا يتلقّف الضعيف والخبيث الداهية لا يقتنص الأمّي الساذج بشرك دهائهِ» اه.

قال القديس يوستينوس للامبراطور« انما نحن الوسيلة لتنيُلك ظلّ الأمن آمنًا مرتاحًا لاننا نعلم انهُ لا تخفى على الله خافية من الناس اشرارًا كانوا ام ابرارًا وان كلًّا منهم سوف يجازى بحسب اعمالهِ حيوةً ابديّةً او عذابات ابديّة. على انهُ لو كان الجميع يعلمون هذه الامور لما عاد واحد منهم يتجرأ على اتباع الرذيلة وترك الفضيلة لعلمه انهُ سُيزجُّ في المواقيد الدائمة. ولكن اولئك الذين يتخطُّون شرائعك يظنون انهُ لا يعوزهم الّا التخفي عن مراقبة جنودك ليتملَّصوا من العقوبات التي رتبتها عظمتك على الاشرار الاشقياء» اه

وقد تبقَّى علينا ان نلمع في الختام الى فرضٍ مهمّ توجبهُ علينا ديانتنا المقدَّسة في حقّ السلطة الحاكمة وهو تقديم الصلوات والادعية في معابدنا بصورة حافلة كما اوعز بولس الرسول الى تلميذه تيموثاوس حيث قال (١ تيم ٢: ١—٣): « فمن ثمَّ أسألك قبل كل شيء ان تُقدّم لله صلاةٌ وتوسُّلاتٌ... من اجل الملوك والعظماء ليحلُّوا محلًّا هاديًا بجميع تقوى الله... فان هذا حسن ومقبول لدى الله مخلّصنا». فامتثالًا لاوامر الرسول نُقيم نحن معاشر النصارى الراتعين في ظل الاريكة العثمانيَّة ايَّدها الله الابتهالات الحارَّة والادعية الخيريَّة لاجل مليكنا وخاقاننا الاعظم المالك سعيدًا ولاجل دولتهِ العليَّة المرعيَّة بعين العناية الصمدانيَّة وهذه التوسُّلات نرفعها في كل آن وقد رفعناها خصوصًا في مثل هذا النهار الذي هو عيد جلوس شوكتهِ المأنوس وقلنا في ختام دعائنا: « اللهمَّ هذا دعاؤنا رفعناهُ اليك كما علَّمتنا ولا شكَّ انهُ يكون لديك مستحسنًا ومقبولًا كما وعدتنا». ولمَّا كان

القاه هذا الخطاب بمناسبة هذا العيد الجليل ومن جملة مجالي الاحتفال بهِ رأينا ان نقدمهُ مطبوعاً في هذه المجلة لمكارم عطوفة ملجأ ولايتنا الرشيد مع ما تقدَّم وقمنا بهِ من فروض التهاني والابتهال وتجالي الاجلال والاحتفال بالعيد المجيد الميمون المقرون بصنوف السعد والاقبال

(المشرق) اننا نثني على راقم هذه الاسطر حضرة المسنيور يوسف العلم وعلى خطابهِ السجدي فانَّ الادلَّة العقليَّة والنقليَّة التي اثبت فيها اصل السلطة الحاكمة وحقوقها وما للدين في عضدها من اليد الطولى لجدير باعتبار كلّ عاقل يحبّ الأُلفة ويريد بقاءها سالمةً من آفات الفوضى وعواقب الفتن الوخيمة في ظلّ الرؤساء الشرعيين ايَّد الله سلطانهم وارشدهم الى كلّ ما فيهِ خير الرعايا وصالح الدولة

---

# تسريح الابصار

## في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

## ٥ الامم البائدة في لبنان

### ٣ الايطوريون

سبق لنا القول (ص ١٠٧) انَّ الرومان لمَّا فتحوا الشام وجدوا لبنان في حوزة قوم من الغزاة كانوا عشَّشوا في جبالهِ الساحليَّة الممتدَّة من طرابلس الى جبيل. وهم الايطوريون

وليس هؤلاء القوم من لبنان وانَّما اصلهم من اللجأ ومن جبال حوران وكانوا ذوي بأس وطمع فتحاملوا على الجبل الشرقي واتَّخذوا خيراتهِ كطعمة ثمَّ تشوَّقوا الى لبنان فاستولوا عليهِ قبل زمن الدولة الرومانيَّة بقليل

والايطوريون احدى القبائل العربيَّة او الارامية (١ التي كانت مذ ذاك العهد مدَّت ظلّ سطوتها على البلاد الواقعة في جنوبيّ دمشق وشرقيها. وكان شيخ القبيلة اوانئذٍ يدعى بطلميوس ابن منّايوس من اعظم اهل سوريَّة ثروة وقدراً. وكان يحكم على بلد الايطوريين الاصليّ (٢ ويتولّى الجبل الشرقيّ وجهات البقاع الشماليَّة مع مدينتي بعلبك

---

١) كل الاعلام الايطوريَّة الاصل الواردة في الكتابات القديمة امَّا عربيَّة وامَّا آراميَّة راجع مجموع الكتابات اللاتينيَّة (CIL, III, n° 4371 etc.) راجع ايضاً تفاصيل اخبار الايطوريين في معجم الكتاب المقدس (Vigouroux: *Dict. de la Bible*, art. *Iturée*) ٢) ايطوريَّة الاصليَّة توافق بلاد اللجأ وجيدور الحاليَّة. وقد ورد ذكر ايطوريَّة في انجيل لوقا (٣: ١)

وكلسيس (Chalcis) وكان لهُ عسكرٌ من الفرسان يبلغ عددهُ ٨٠٠٠ فارس

ولمّا زحف بمپيوس على لبنان وجد طرابلس وما يجاورها من لبنان الشمالي(١ في قبضة احد الايطوريين من قرابة بطلميوس بن منّايوس يُدعى ديونيسيوس. فاضطرَّ الرومان لتوطيد دعائم سلطانهم ان يحاربوا هولاء الدخلاء حربًا عوانًا كانت نتيجتها وبالًا على اهل ايطورية فاسر بمپيوس قائدهم ديونيسيوس وأمر بقطع رأسهِ ثمَّ توغّل في لبنان فاخرب حصون جيغرتا وسنّان وبورومـا (٢ وكان غزاة الايطوريين يتحصنون من هذه المقامات المنيعة على المدن الساحلية فيوسعون اهلها نهبًا وقتلًا. وقد حاولنا في مقالاتنا السابقة ان نبيّن مواقع هذه الحصون فلتراجع

وقد حارب بمپيوس مدينة كلسيس الايطورية فدمَّرهـا. وكلسيس على الرأي الراجح هي مدينة عين جرّ التي تُرى اخربتُها في سهل البقاع. امّا قول البعض انها هي زحلة فلا نصيب لهُ من الصحّة كما سنبيّنهُ في كلامنا عن هذه البلدة

وخلاصة القول انَّ الآثار تنبئنا بامتداد سلطة الايطوريين في قسم كبير من لبنان الشمالي. ولمّا انتصر الرومـان عليهم وفتحوا معاقلهم تقلّص ظلّهم وباد ذكرهم من التاريخ ولا ريب انَّ بقاياهم امتزجت باهل لبنان

وممّا يدلّ على وجود الايطوريين في لبنان ما وجدنا في الكتابات اليونانيّـة من الأعلام العربيّة لاسيَّما في رأس الشقعة وانحاء جبيل

وليس الايطوريون القبيلة العربيّة الوحيدة التي دخلت في عداد اهـل لبنان. بل نجد قبائل غيرها توطّنت ذلك الجبل لاسيَّما التنوخيين (٣. وهذا الامر مهمّ لمعرفـة عناصر اهل لبنان نكتفي اليوم بالاشارة اليه فقط

## ٤ الرومانيون

استفدنا من الفصل السابق ان الجيوش الرومانيّة قهرت الايطوريين في لبنـان

١) اعني ما يشمل اليوم قائمقاميات الكورة والبترون وقسم من جبيل

٢) ان صحَّ قولنا عن وقوع سنّان وبوروما في كسروان فيكون ملك الايطوريين بلغ هذه المقاطعة ايضًا

٣) جاء في كتاب البلدان لليعقوبيّ انَّ لبنان المجاور لصيداء كان يسكنهُ قوم من قريش ومن اهل اليمن (راجع المجلة الالمانيّة الفلسطينيّة ZDPV, IV, 87)

وكسرت شوكتهم. ولسائلٍ ان يسألنا وهل احتلَّ الرومان في لبنان فاستعمروهُ ؟ اليس وجود الكتابات اللاتينيَّة المتعدّدة في هذا الجبل دليلًا على سكناهم فيهِ ؟ نقول انَّ جوابنا عن توطُّن الرومان في لبنان كجوابنا عن اليونان وقد اثبتنا ان الكتابات اليونانيَّة لا تدلُّ وحدها على انَّ اليونان استخاروا لبنان لسكناهم. فهكذا قل عن الرومان فانَّ الكتابات اللاتينيَّة تشير الى تملُّكهم على الجبل وتدلُّ على انَّ اللغة اللاتينيَّة كانت اللغة الرسميَّة في بلاد الشام في القرن الاول السابق لعهد المسيح والقرنين التابعين له

هذا ولا ننكر انَّ بعض الرومان وخصوصاً اصحاب مستعمرتي بيروت وبعلبك الرومانيين كانوا يملكون في لبنان اقطاعات كثيرة من جملتها املاك الايطوريين لكنَّ الرومان في الغالب لم يتولّوا بانفسهم زراعة هذه الاملاك وانّما كانوا يعهدون امرها الى شركاء وطنيّين يقومون بشؤونها ويستثمرونها باسمهم. وان وُجد منهم احد في لبنان فالصواب ان يقال انَّهم كانوا نفرًا قليلًا. ومن ثمَّة لا يجوز ان ننظم الرومانيين بين الشعوب اللبنانيَّة القديمة

## ٥ المَرَدَة

في بُهرة القرن السابع اعني سنة ٦٧٧ يذكر مؤرخو اليونان لاوَّل مرَّة قومًا يحملون سكناهم في جبال الشام من جبل اللكَّام شمالًا الى حدود فلسطين جنوبًا وهم يدعونهم مردائيّين ويعرفهم المحدثون باسم المَرَدَة. ومن غريب امر هذا الشعب انَّهُ لم يبدُ في بادئ ذي بدء ضعيفًا ضئيلًا بل نراهُ جاثمًا فوق مشارف لبنان ضابطًا مضايقهُ شاغلًا كلَّ نقطةٍ الحصينة على مدى طوله من الشمال الى الجنوب وليس من يقوم في وجهه بل كثيرًا ما ينقضُّ من مراكزهِ الحريزة فيغزو المعاملات القريبة منهُ دون ان يردَّ احد هجماتهِ. ولم يزل امر هؤلاء المَرَدَة في اشتداد حتى صار كلُّ الملهوفين والمطرودين من اهل الوطن واصحاب الفاقة يلتجئونَ اليهم ويلوذون بحمايتهم ويزيدونهم عددًا وقوَّة. ولا غرو انَّهم لو ثبتوا مدَّة على ذلك لأتوا بالاعمال الخطيرة لولا انَّ ملوك الروم الذين كان المَرَدَة يخضعون لهم امروهم بالخروج من لبنان بعد ظهورهم فيهِ ببضع سنين فاندثر امرهم على فورٍ كما ظهروا بغتةً دون ان يبقوا في لبنان اثرًا من مرورهم (١

١) زعم رينان في كتاب بعثة فينيقية انَّ قلعة سمر جبيل من آثار المَرَدَة في لبنان وهو قول

فمن ذا تُرى هذا الشعب ؟ كيف ظهر على فجأة دون ان يذكر احد وجودهُ في بلاد الشام ولبنان سابقًا ؟ أنَّى خرج ؟ هذه اسئلة اقترحها قبلنا العلماء وحاولوا حلَّ عقدتها. ومما يدلّ على ان الامر ملتبس عويص انَّ العلماء ذهبوا في ذلك الى مذاهب شتَّى ندوّنها هنا دون ان نبدي فيها رأيًا تاركين لقرّائنا ان يصوّبوا الرأي الذي يرونهُ اصحّ واثبت

ولا بُدَّ قبل بسط هذه الآراء المتباينة ان نروي اقوال الكتبة الاوَّلين الذين ذكروا المَرَدة مباشرةً لانَّ اقوالهم من شأنها ان تعرّف هذه الطائفة وتبيّن خواصّها

يؤخذ من اقدم ما ورد عن المَرَدة انَّ لبنان لم يكن مركزهم الاوَّل. قال المؤرخ ثاوفانوس عنهم (١: « انَّ المَرَدة دخلوا لبنان » . (εἰσῆλθον εἰς τὸν Λίβανον) وفي هذا القول ما لا شبهة فيهِ عن مجيئهم الى لبنان من محلّ آخر. ثم اردف ثاوفانوس قائلًا: « والتجأ اليهم الوطنيُّون » وفي هذا دليل على انَّ المردة لم يكونوا من اهل لبنان بل غرباء عنهُ. امَّا عددهم فكان وافرًا يبلغ « اثني عشر الف رجلٍ » شاكي السلاح دون النساء والاطفال. وممَّا يدلُّ على بطشهم أنَّهم في مدَّة اقلّ من نصف قرن ملأُوا القلوب رعبًا بغزواتهم المتواصلة

والمؤرخون اذا اشاروا الى المَرَدة دعوهم بلفظة عسكريَّة وهي τάγμα يراد بها فرقة من الجند او الطابور. واسمهم هذا دليل على أنَّهم لم يكونوا شعبًا كبقيَّة الشعوب بل كانوا على هيئة عسكريَّة ونظام حربيّ يفلحون الارض وقت السلم وهم على أُهبة لمباشرة الحرب في ايّ ساعةٍ كانت. ولنا مثَل على هذا التنظيم في امَّة الكراوتيين التي كانت في القرن الثامن عشر تحافظ على حدود النمسا في جنوبها. وكان للرومان ايضًا فئات عسكريَّة من هذا الصنف كانوا يقيمونها عند ثغور مملكتهم فيدعونهم لاجل ذلك بالفئات الحدوديَّة (limitanei) اعني أنَّهم يذُبون عن الحدود ويدفعون عنها الاعداء. وكان اولادهم يرثون تلك الاملاك من بعدهم ويجرون مجراهم في الدفاع عن ثغور الدولة. وكان الرومان يختارون لمثل هذا المشروع قدماء الجند المحنَّكين

---

بلا دليل عوَّدنا على مثلهِ هذا الكاتب الذي يتَّخذ مخيّلتهُ حجَّةً لمزاعمهِ. وقد بيَّنا غير مرَّة انهُ كثيرًا ما يرمي الكلام على عواهنهِ ولا يسندهُ الى الادلَّة

١) راجع تاريخهُ في مجموع الآباء اليونان المجلَّد ١٠٨ (PG, T. 108 p. 722, 733, 737)

في آداب الحروب ثمَّ وكلوا ذلك بعدئذٍ الى بعض اهل البلاد المجاورة لحدود المملكة (١

وان سألت عن الدولة التي كان المَرَدة يخدمونها اجبناك انَّهم كانوا تحت حكم ملوك الروم فهم الذين تقدَّموا اليهم بالمدافعة عن الثغور الشاميَّة وهم الذين صرفوهم عنها وانزلوهم في نواحي آسيَّة الصغرى كما سيأتي

فهذه الافادات عن المَرَدة لا ريب فيها يقرُّ بصحَّتها كلُّ الحدثين لأنها وردت في تواريخ مشاهير الكتبة الذين عرَّفوا هؤلاء القوم ووصفوا احوالهم

ولكن هنا مسألة أخرى لا يتَّفق فيها ارباب العلم نريد اصل المردة وجنسيَّتهم. فقد ارتأى بعض الائمَّة ومنهم العلَّامة السمعاني والحاقلاني ومرهج بن نمرون والدويهي ومن تبعهم من علماء الموارنة وبعض الكتبة الاوربيين كاروتيوس ولوكيان وغيرهما انَّ المردة هم الموارنة. واقوى حججهم لبيان ذلك انَّ المَرَدة كانوا قوماً من النصارى يسكنون لبنان ولا نعرف في القرن السابع شعباً يدين بالنصرانيَّة ويسكن لبنان غير الموارنة. وان اعترض معترضٌ على اصحاب هذا الرأي بقوله انَّ المردة كانوا فرقةً جنديَّة موفدة من ملوك القسطنطينيَّة الى بلاد الشام انكروا الامر قائلين لو كان المردة طائفةً من الجند لخرجوا من لبنان بعد انعقاد الصلح والامر ليس كذلك فانَّ المؤرخين يذكرون انَّهم داوموا غزواتهم بعد الصلح الذي عقدهُ يستيان الثاني وانَّهم لم يكفُّوا عن غاراتهم حتى ابرم هذا الملك معاهدةً ثانيةً وارسل الى المردة عصبةً تصرفهم من لبنان بالوعد والوعيد الى بلاد الارمن حيث كان الملك وقتئذٍ (٢. فهذا الاحتجاج لا يخلو من القوَّة وهو يبيّن ما في هذا البحث من المعضلات

امَّا اصحاب الرأي الآخر فينكرون توحيد المردة والموارنة ويسندون رأيهم الى كون المردة ليسوا وطنيين كالموارنة بل غرباء عن لبنان اتوهُ من الخارج كما سبق القول ثم استولوا عليه فحصَّنوهُ في وجه العدوّ مدَّةً الى ان برحوهُ بعد زمن قليل

وممَّا يدعم بهِ هؤلاء رأيهم في اختلاف المَرَدة عن الموارنة انَّ المردة كانوا خاضعين

---

١) راجع معجم العاديَّات اليونانيَّة والرومانيَّة Saglio et Darenberg : *Dict. des antiquités grecques et latines* I, 1374

٢) راجع ردود السيّد العلَّامة الفضال يوسف الدبس على الاب الصمودي ثاليه (ص ٤)

لملوك الروم. قال ابن العبري في تاريخه السرياني (ص ١١٥) « انَّ المردة جنودٌ للملك قسطنطين اللحياني ارسلهم الى الشام للمدافعة عنها ». وكلُّ هذا لا يوافق الموارنة الذين خلعوا عنهم ربقة ملوك الروم كما يظهر من تواريخهم ومن علاقتهم مع الملكيين انصار بوزنطية وملوكها

ويزيد اصحاب هذا المذهب الثاني انَّ كلام تاوفانوس وقدرينوس (Cedrenus) وغيرهما مما ينفي عن المردة اصلهم اللبنانيَّ. والمردة على قولهم كانوا قبل دخولهم في لبنان يقطنون بلاد الارمن وولايات آسية الصغرى حيث رجعوا بعد غزواتهم في لبنان. وقد كتب احد علماء الفرنج اسمهُ انكتيل دو پارون (Anquetil - Duperron) مقالتين مطوَّلتين في مجلَّة الكتابات ليثبت انَّ المردة من الشعوب التي كانت قبل المسيح وانَّهم هاجروا الى بلاد عديدة في ممرّ الاجيال ومنهم مَرَدة لبنان (١

وان سألت الذاهبين الى هذا القول: وما هي على رأيهم جنسيَّة المردة. اجابك بعضهم انَّهم اصلًا قبيلة ايرانيَّة دخل فيها اخلاطٌ من عناصر سوريَّة وارمنيَّة (٢

والاب مرتين في كتابه المخطوط «تاريخ لبنان» يقول انَّ المردة من العرب وهو يشتقّ اسمهم من «التمرُّد». وهذا راي ضعيف لانَّ المردة لم يأتوا من جزيرة العرب ولا من جهَّة الشرق وانَّما دخلوا لبنان قادمين من الشمال. وهذا مما يرجّح راي القائلين بان المردة اتوا لبنان من جهة آسية الصغرى. ثم لم يُفِدْنا احد من المؤرخين عن دخول العرب الى لبنان في القرن السابع. وان قال القائل انَّ هؤلاء كانوا من نصارى غسَّان من الذين استعان بهم ملوك الروم اجبنا انَّ الغسَّانيين لم يخدموا اوانئذٍ ملوك القسطنطينيَّة خدمةً تُذكر بل لم يلبثوا ان انحازوا الى العرب مواطنيهم. وكلُّ ذلك يخالف ما جاء عن المردة في كتب المؤرخين. وعلاوةً على ذلك انَّ الغسَّانيين كانوا من اليعاقبة وفي عهد المردة كان ملوك الروم يطاردون هذه الشيعة. ولم يكن المردة من قبيلة عربيَّة أُخرى لانَّ العرب كانوا في ذلك العهد من الدّ اعداء الروم فليس المردة اذن عربًا

---

١) راجع Anquetil- Duperron : *Mémoires sur les migrations des Mardes*
Mém. Acad. Inscr. T. XLV, 87 et L. 1

٢) راجع تاريخ دولة الروم Rambaud : *L'Empire grec au X^e siècle*, p. 213

هذا ومن المقرَّر الثابت انَّ ظهور الموارنة كأُمَّة مستقلَّة قد اتَّفق مع عهد حروب المردة في لبنان. وان لم يسلّم القرَّاء بان الموارنة هم المردة فانَّهُ لا سبيل الى النكران بانهُ وجدت بين الفئتين علاقات وديَّة. ومماً يتَّضح ايضاً من تاريخ ذلك العصر انَّ الموارنة عند خروج المردة من لبنان لم يتبعوهم في مهاجرتهم الى آسية الصغرى بل ثبت معظمهم في جبلهم.

امَّا المردة فجعلوا بعد عودتهم سكناهم في وطنهم القديم بلاد الارمن. ونرى منهم من قطن في جوار اضالية. ورحل قسم منهم الى جزيرة قبرس واحتلَّ غيرهم بلاد اليونان ومورة ونواحيها. ولم يزالوا في كلّ هذه البلاد على نظامهم العسكري وكان لهم ضبَّاط يدعونهم كاتبانو (κατεπάνω). هذه خلاصة ما ورد في امر المردة ومن استزاد امكنهُ ان يراجع ما كتبهُ عنهم قدرينوس (ك ١ ص٧٦٥و٧٧١ طبعة بون) وزوناراس في مجموع اعمال الآباء اليونانيين (ج ١٣٤ ص ١٢٩٧) وتاريخ قبرس (ج ١. ص ١٠٦) للعلاَّمة ماس لاتري (Mas - Latrie) والسمعاني في المكتبة الشرقيَّة ومجلَّة اصداء الشرق(١٩٠١ص١٥٦)وساثاس(Sachas, Μεσαιωνικὴ βιβλιοθήκη, II, 45 seqq.)

## ٦ العجم

جاء في كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب اليعقوبي (١ انَّ الخليفة معاوية لما فتح بلاد الشام وجد مدنها الساحليَّة فارغةً من السكان فاستقدم قوماً من العجم ليتخذوها لهم سكناً. وقد ذكر ذلك عن طرابلس وجبيل وبيروت وصيداء. بل خصَّص بذلك ايضاً بعلبك وعرقة في بلاد عكار. فصارت كل النواحي المحيطة بلبنان في يد العجم بل اضحى قسم من لبنان في حوزتهم وهي الايالات القريبة من المدن المذكورة كما يصرّح اليعقوبي بهذا الامر

فقول اليعقوبي السابق ذكرهُ يضطرُّنا الى ان نجعل العجم بين الشعوب البائدة من لبنان التي بقت منها فيه بعض بقايا امتزجت باهلهِ. وشهادة اليعقوبي المذكور لم نجد لها ما يؤيّدها في سائر التواريخ واوصاف البلدان الَّا انها تستحقُّ الاعتبار وتستوقف الانظار. كيف لا وهي لكاتب من اقدم كتبة العرب عاش في القرن الثالث للهجرة وهو من

١) راجع الصفحة ١١٤ من طبعة ليدن (ed. Juynboll)

المشاهير الموثوق بكلامهم وصف في تأليفه احداثًا قريبة من زمانه

وما يحملنا على تصديق قول اليعقوبي انّنا نجد في لبنان قومًا من الشيعة كالمتاولة والنصيريين توطّنوا الجبل وبسطوا عليهِ سطوتهم وخلّفوا فيهِ آثارًا تنبئ بصحّة ما سطّره المؤرخ المومأ اليهِ . ومن جملة هذه الآثار ما نراهُ في بعض اهل لبنان من تركيب الجسم وتقاطيع الوجه وسحنة البشرة التي يُعرف بها العجم

وقد وردت ايضًا في القرن العاشر شهادة أُخرى تؤكد قول اليعقوبي وهي في كتاب رحلة احد الأعجام الى بلاد الشام وجزيرة العرب وهو نصري خسرو الذي نشر كتابهُ العلاَّمة شرل شيفر الشهير . وممَّا قالهُ صاحب هذا الكتاب انَّ « اهل طرابلس كلهم من الشيعة » وكذا قال عن صور ولا نشكُّ انهُ يريد ابناء هؤلاء الأعجام الذين استقدمهم معاوية لسكنى بلاد الشام

ولم يعد الكتبة بعد هذا العهد يذكرون العجم وعندنا انَّ امرهم ضعف بعدئذٍ لما حدث في بلاد الشام من الحروب في القرن الثاني عشر فانتقض امرهم واختلطوا باهل لبنان . ومنهم النصيريَّة والمتاولة الذين ظهروا بعدئذٍ ( ستأتي البقيَّة )

# النصوص الحكمية

## مجموعة من اقاويل ائمة الفلاسفة

هذه طرفة وردت في كتاب ادبيَّات عند احد فضلاء مملقة الدامور الخواجا مبارك طنُّوس عون وهو منقول سنة ١٨٢٠ عن رسائل وحكم قديمة لائمَّة فلاسفة اليونان وغيرهم . وممَّا جاء فيهِ ايضًا رسالة في الحدود تُنسب الى الامام الفقيه عبد الرحمان الثعالبي وقد اقتصرنا اليوم على هذا الفصل وفيه مئة من الاقاويل الحكميَّة التي يأنس بمعانيها الفهم ويرتاح الى آدابها القلب وتدلُّ على ذكاء قائليها ل . ش

١ من انزل نفسهُ منزلة العاقل انزلهُ الناس منزلة الجاهل — ٢ صديق كل امرئٍ عقلهُ وعدوُّهُ جهلهُ — ٣ من كان الناس عندهُ سواء ما لجنونهِ دواء — ٤ كثرة التقرب الى الناس مجلبة لقرين السوء فكن من الناس بين المنقبض منهم والمسترسل اليهم —

٥ من كُرِّمت عليهِ نفسهُ صغرت الدنيا في عينيهِ — ٦ من لا يعرف الخير من الشرّ فألحقهُ بالبهائم — ٧ لا خير في الدنيا إلّا احد الرجلين امّا ناطقٌ عالم وامّا صامتٌ واعٍ — ٨ فعل الجاهل في خطابهِ ان يذمّ الناس وفعل العاقل ان يذمّ نفسهُ — ٩ القلم سفير العقل ورسولهُ — ١٠ احسن لباس الرجل فصاحتهُ وحسن منطقهِ — ١١ ابلغُ الكلام ان يصيب ولا يُخطئ ويسرع ولا يبطئ — ١٢ افضل الناس من ترك الفضول وطلب المحصول — ١٣ الوعد سحاب والفعل مطر — ١٤ أيّاك مصادقة الاحمق فربّما اراد ان ينفعك وهو يضرّك — ١٥ أيّاك مصادقة الكذوب فانهُ يقرّب عليك البعيد ويبعد عنك القريب — ١٦ أيّاك الخؤون فانهُ يبيعك بفلس حقير — ١٧ قيل لحكيم: ما العقل. قال: ترك الظنون والاستدلال بما كان على ما يكون — ١٨ ظفر بالدنيا من حذرها وظفرت بهِ من أمنها — ١٩ اذا اقبلت الدنيا خدمت الشهواتُ العقولَ واذا أدبرت خدمت العقولُ الشهوات — ٢٠ اذا اردت ان تعرف عقل رجلٍ فحدّثهُ حديثًا لا اصل لهُ فان قبلهُ فذاك احمق — ٢١ من عاشر الناس بالمكر كافأوهُ بالغدر — ٢٢ لا ينبغي للقاضي ان يكون سفيهًا ومنهُ يُلتمسُ الحكم ولا جائرًا ومنهُ يُلتمس العدل — ٢٣ القلم بريد العقل فتوقّوا شرّ لقائهِ — ٢٤ اذا كذب السفير بطل التدبير وانفصمت عُرى الامور — ٢٥ لا يعلم من احرز العلم وتكبّر — ٢٦ تواضعوا للعلم ولا تكونوا من اصدقائهِ فما يقوم علمكم بجهلكم — ٢٧ اربعة تكسب المحبة حسن الادب وحسن الحديث وحسن الاستماع وحسن اللقاء — ٢٨ ثلاثة تكسب البغضة الصّلف والعُجب وسوء الخلق — ٢٩ أحذر الحصائم فانّها تمرّض القلب وتذهب بالحياء. ويتجرّأ عليك من كان يهابك — ٣٠ الاصدقاء ثلاثة صديقك الخاصّ وصديقُ صديقك وعدوُّ عدوّك — ٣١ أقلل من كلامك واكثر من صوابك — ٣٢ استمع ممَّن يحدثك حديثه ولا تردَّ عليهِ — ٣٣ عوّد نفسك مكارم الاخلاق فان الخير عادة والشرّ لجاجة والنفس تطلب ما عوّدتها وزين الرجال اخلاقهم — ٣٤ العلم خير من المال لان العلم يحرسك والمال انت تحرسهُ — ٣٥ من حاسب نفسه ربح الحساب يوم الحساب — ٣٦ لا تطلب ما لا يعنيك فيشغلك عمّا يعنيك — ٣٧ لا تطلب من الانسان السوء فعلًا جميلًا فتغرّ نفسك وتُتعب سرّك — ٣٨ اشرف الاشياء العقل وافضلها العلم واخصّها الادب — ٣٩ الحكمة نور والعلم دليل والعقل حياة والجهل موت — ٤٠ العلم كنزٌ خفٌّ محملهُ

وهو في العسر مال وفي الوجوه انس وفي الشدة عدة وفي القربة عشير يشتد به حامله وينبل به طالبه — ٤١ عقول الرجال في اطراف اقلامهم لان كتاب الرجل وزن عقله — ٤٢ الحكمة سلّم العلو فمن علمها بلغ الى بارئه — ٤٣ راحة الحكماء في وجود الحق وراحة السفهاء في وجود الباطل — ٤٤ امور الدنيا تحت شيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم — ٤٥ التجارب عقلٌ ثانٍ ودليلٌ هادٍ — ٤٦ ما بنتهُ الاقلام لا تهدمهُ الأيام — ٤٧ كل نعمة ما تكون من الله فهي بليَّة — ٤٨ اشقى الناس من عرف الخير وعمل بالشر — ٤٩ قيل لحكيم: لِمَ خليتَ الدنيا . قال: خوفاً من ان تتخلى عني — ٥٠ ليس الى السلامة من الناس سبيل — ٥١ افضل السلامة في مجانبة الناس — ٥٢ اذا قيل لك «نعم الرجل انت» وكان ذلك احبَّ اليك من ان يُقال «بئس الرجل انت» فانت والله بئس الرجل — ٥٣ اجهد نفسك على الرضا بالمذمَّة — ٥٤ الفاسق اقرب الى الله من ناسك جعل عبادتهُ شبكةً لصيد ما في ايدي الناس — ٥٥ انما يأنف المذمَّة من جهل وحسب انهُ غير مستوجب لما ذُمَّ بهِ — ٥٦ جُع الى الحكمة واعطش الى عبادة الله قبل ان يأتيك المانع منهما — ٥٧ لا تُرضينَّ احداً بسخط الله — ٥٨ اقهر العادات الرديَّة بالمقاومة لها — ٥٩ احتمل من السفيه واحدة لكي تربح عشرة — ٦٠ اذا سمعت كلمة مرَّة اعرض عنها فان لها اخوةً واخوات — ٦١ ان ضعفتَ عن فعل الخير فكفَّ عن فعل الشرّ — ٦٢ لا يصدَّنك عن الاحسان جحود طالب النعمة — ٦٣ حياة الشهوة مواصلتُها وموتها مقاطعتها — ٦٤ القلوب الملَّقة بشهوات الدنيا عقولها عن الله محجوبة — ٦٥ من اطاع هواه بلغ عدوُّهُ منهُ مناه — ٦٦ من اكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا بيسير — ٦٧ ما استطاع الناصب ان ينصبهُ فلا ترغب في اقتنائهِ — ٦٨ لا تفرح بموجودٍ لا يتركهُ في يديك الموت — ٦٩ ما قدَّمتهُ من مالك فهو لك وما خلفتهُ فهو لغيرك — ٧٠ صدأ نور العقل شبع البطن — ٧١ جاهد نفسك على الزهد في مرغوب الكلاب والخنازير — ٧٢ مهما امكنك تجنُّب الشبع فافعل ففي الجوع فوائد تضيق الاوراق عن نقلها اليك — ٧٣ احذر من الغضب فانهُ من اعظم جنود ابليس — ٧٤ أيَّاك من الغضب فانهُ يُحوجك الى ذلّ الاعتذار — ٧٥ اكثر الناس خطأً اكثرهم كلاماً — ٧٦ السكوت ستر جميل — ٧٧ أيَّاك وفضول الكلام فانهُ يظهر من عيوبك ما بطن ويحرّك من عدوّك ما سكن — ٧٨ من كثر كلامهُ

كثر لومهُ — ٧٩ من دخل مداخل السوء يُتّهم لانهُ قيل «لا تَقِفْ موضع التهم» — ٨٠ اذا طلبت اصلاح قلبك فاستعن عليهِ بحفظ لسانك — ٨١ الزم الصمت فانها اجمل عادة وافضل عبادة واكرم شيمة واعظم غنيمة يكسبك الكرامة ويُورثك السلامة ويؤمنك الندامة ويكفيك الملامة — ٨٢ اذا اخترتَ ان تكون حيًّا فكن ميتًا حتى لا تفرح بمدح الناس ولا تحزن بذمّهم — ٨٣ من ظنَّ ان نفسهُ خير من نفس فرعون فقد اظهر الكبر — ٨٤ لا تتكبَّر على أحدٍ بفضيلة تظنها لك فربما كانت له فضائل وانت لا تشعر بها — ٨٥ لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار — ٨٦ ثدي الحكمة يرضعهُ من فُطِم عن الشهوة — ٨٧ خوف الله لا يشبه خوف الخلق لان من خاف الله هرب اليهِ ومن خاف من خلقهِ هرب منهم — ٨٨ يجب على العبد ان يُحسن توكُّلهُ على الله فيما لم يأتهِ وان يحسن رضاه فيما اتاه وان يحسن صبره فيما فاته — ٨٩ لا تخالط الناس مهما امكنك فان من خالطهُ الناس داراهم وراياهم — ٩٠ من خلا قلبهُ من ذكر الله تعرّض لوسواس الشيطان — ٩١ مكروه تحلو ثمرتهُ خير من محبوب تمرُّ مغبّتهُ — ٩٢ قيل لسقراط: اخبرنا عن العيش الهني. فقال: هو قلّة معرفة الناس قيل لهُ: زِدْنا. فقال: ان تجهل من تعرفهُ منهم — ٩٣ من تأنى اصاب او كاد يصيب ومن عجل اخطأ او كاد — ٩٤ ما غلب عليك جذبك اليهِ وصيَّرك يسيرًا في يديهِ — ٩٥ العلوم لغير السالك مؤدية الى المهالك — ٩٦ فيك للشهوة غيم يحجب شمس عقلك وفيك للغضب نار تلفح وجه عقلك — ٩٧ من المروءة ان تغضَّ عمن تستَّر عنك فرآك لحياء فيهِ فاستحي انت منهُ كما استحى منك — ٩٨ سرور اهل البصيرة في صفاء السريرة واستقامة السيرة — ٩٩ لا تقل نفسي بلغت حدَّ الرياضة ينبغي للنفس ان تُراض حتى الممات — ١٠٠ من عرف حقيقة اللّذة لم يبقَ لهُ لذة

---

# سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لحضرة المحقق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (تتمّة)

واردف الرحّالة اوليفيه قولهُ واصفًا ايوان كسرى بما تعريبهُ:

« ويتأثر الباحث في مواطن شتّى اسوار تلك الحاضرة وكانت في غاية المتانة

والثخانة والسمك وكانت مبنيّة باللَّبن مشدودًا بعضهُ ببعضٍ بالقصب وقد نُضّد طبقاتٍ كما هو الامر تقريبًا في اثر عقرقوف ( راجع المشرق ٤ : ٢٠٧ ). وتُرى متبعثرة جُثًى من الانقاض والرُدوم وبقايا جدران من الآجرّ. وفي جهة النهر بقايا حيطانٍ متينة مبنيّة بالآجرّ المحرق. وكان البنَّاؤون قد اتَّخذوا فيهِ القير عوضًا من الملاط. امَّا النبات في ارض هذا المصر فهو أغزر ممَّا هو عليهِ في ما يجاورهُ من الارضين والانبتة فيهِ قويَّة والشُجيراتُ مشتبكةٌ عاسية جاسية

« وعلى مسافةٍ زهيدةٍ من طاق كسرى يُرى مسجد قد أُقيم على ما يُقال للصحابي "سلمان پاك" اي « سلمان الطاهر » ويذهب المسلمون لزيارة قبرهِ ويقضون ثمَّ بضعة أيَّام معتكفين على الصوم والصلاة والشيخ العربيّ خادم هذا المسجد يعتمد على ألطاف وهدايا ورِعي المسلمين اكثر من اعتمادهِ على ما رتَّبهُ لهُ الباشا. وعلى ضفَّة دجلة الغربيَّة تجاه طيسفون كانت مدينة أُخرى اقدم منها وكانت لها بمنزلة ربضٍ وهي « سلوقية ». وهذه كانت قد بلغت في عهد اليونان شأوًا بعيدًا من النموّ والارتقاء حتى ان بابل شعرت بوهنٍ في قواها. ثم تضعضعت وطاندها وتزعزعت قواعدها وضعفت سواعدها. امَّا سلوقية فكانت تتأيَّد عُراها وتشتدُّ قُواها حتى اصبحت المصر الاوَّل بين أمصار تلك الاقطار ومقرّ الملوك في تلك الديار وكانت واقفة على بُعد ١٨ ساعة في شماليّ شرقيّ بابل. ولم نتفقَّد اخربتها لتعسُّر عبر النهر يومئذٍ وخلوّهِ من السفن او المراكب. لكن جماعة من العرب الذين كانوا يعرفون تلك الربوع احسن معرفة قالوا لنا انهُ يُرى هناك اطلال مدينة عظيمة. وفي طيسفون اخربة وآثار وانقاض كثيرة الحجار واسوار بيّنة للانظار مبنيَّة باللَّبن الكبار. وطيسفون وسلوقية وما يجاورهما تُعرف باسمٍ واحدٍ وهو « المدائن » اه (١

ويحسن بنا ان نزيد على التفاصيل المتقدّم ذكرها ان الحجارة فيها مشدودة بملاطٍ جصّيٍ أمهق. وهذا ممَّا يدلّ على ان البناء رومانيّ الاصل لا بابليّهُ على ما نبَّه عليهِ بكنغام (٢

---

(١ راجع Olivier : *Voy. dans l'empire ottoman*. T. II, p. 433 et seq. — *Paris* 1804. In-4°.

(٢ Buckingham : *Travels in Mesop.*, p. 528.

وقد زار ريش (Rich) اربع مرّات اي في اذار سنة ١٨١١ وفي كانون الثاني وكانون الاول من سنة ١٨١٢ وفي أيار سنة ١٨٢١ وقد دوّن في كُنّاشتهِ اليومية نتائج ابحاثهِ العظمى (١

ففي زيارتهِ الاولى لاحظ ملاحظة مجملة غير مدقّق في نظرهِ ان كِسَر آجرّها وخزفها هي من جنس كِسَر آجرّ وخزف بابل. وان علوّ شواطئ دجلة هناك يبلغ من ١٠ الى ١٢ قدماً وارضهُ صلصالية مدبّجة بوشي النبات لكن يندر فيها الاشجار ويأوي الى تلك النواحي طوائف من انواع الطير كالكركيّ والحدأة والبجع ونحوها

وفي زيارتهِ الثانية وجد بين طاق كسرى ودجلة رُسوماً لجدار عظيم مبنيّ باللبن وان هذا الحائط اقدم من الحائط الذي كان موجوداً في شرقيّ الصرح. ورأى في حنيّة عقد الطاق حلقةً من حديد معلقة بجائز

وبعد مُرور بضعة اشهر (اي في زيارتهِ الثالثة وكانت في ١٢ ك ١ سنة ١٨١٢) لم يرَ تلك الحلقة ولا مراء في ان الاعراب اقتلعوها ظنّاً منهم ان فيها شيئاً من النُضار. فاذا كان الامر على هذا الوجه في قوم هذه صفاتهم فكيف يأمل المرء العثور على آثار بابل ونينوى النفيسة. وقد لاحظ ريش ما عدا ذلك ان في العقد منافذ عديدة ينفذ خلالها النور وكانت تُلبس انابيب من الفخّار. وامثالُ هذه المنافذ التي من شأنها الاضاءة وتخفيف عبء العقد كثيرة في المباني الرومانية كما في ميدان كَراكلا مثلاً. ثم لمّا كان الشطر الاسفل من الجدار تتناوَبهُ ايدي اصحاب العَيث والعبث تراه مُثلّلاً اكثر مما هو عليه شطرهُ الاعلى. ونحن مقدّم البناء يستدقّ شيئاً فشيئاً كلّما ذهب صعُداً وذلك من ٢٠ آجرّة الى ٨ آجُرّات عرضاً

وقد ارصد ريش زيارتهُ الثالثة خصوصاً لقياس تقاسيم البناء. وهذه الاقيسة تُقارب أقيسة اوليفيه وقد لاحظ ان دجلة قد غادر شيئاً كثيراً من الغِرْيَل من جهة طيسفون ويظهر ان جري النهر قد انحرف نحو المغرب وقد جرّ وراءهُ شيئاً غير زهيد من سلوقية ولا يبين ان جدران طيسفون غمرتها مياه دجلة. والخربة جنوبي شرقي طاق كسرى تقوم براسها وهي واقعة في ناحية البُستان

(١) راجع كتاب: J. Cl. Rich. : *Narrative*, etc. Vol. II. chap. XIX, p. 159 *et Append.* VI, VII et VIII.

ثم ان ريشًا أطلق طائر بصرهِ على اخربة سلوقية وعلى الجدار الغربيّ منها . وهو أقرب جدرانها الى النهر وقد تهدَّم بالكلية . امَّا الجدار الشماليُّ الذي هو فوق طاق كسرى بثلاثة اميال انكليزيَّة والجدار الجنوبيّ المقابل لهذا الصرح فانَّهما شاخصان واذا توغَّلتَ قليلًا في جهة الجنوب فانك ترى مزار شيخ وفيهِ قطعة عمود قديم من الرخام المجزَّع وابعد منهُ بُحيرة يُنشئها «نهر مَلْكا» وهو خليج كانت تتصل بهِ عدة خلجان اصغر منهُ .

امَّا زيارة ريش الرابعة او الاخيرة فليس وراءها عظيم فائدة او عائدة للمسئلة التي تهمُّنا

وفي سنة ١٨٢٤ تفقَّد هذه الاخربة كِپل (J. Keppel) تفقُّد نُتَفَة (النتفة من ينتف من العلم شيئًا ولا يستقصيهِ) وليس من المؤكَّد ان الاسامي التي يوردها على ما لقَّنها اياهُ ادلَّاؤهُ من الاعراب هي اسامي تتعلَّق بالانحاء والارجاء التي وصفها مَن تقدَّمهُ من السَّفْر فانهُ وجد الارض على ضفَّة دجلة الغربيَّة وعلى مقربة من سلوقية موشَّاة لا بل مغشَّاة بركام من الانقاض والاطلال وقد اكتست التلال بالعيص . وامَّا جوارهُ فكانت مستنقعة . وعلى بُعد ساعتين من الشطّ عثر على آثار ابنية عظيمة من جملتها قطعة تمثال يُمثّل امرأةً جالسةً على عرش مربَّع من الطرز المصري وهذا العرش قائم على قاعدة تحتها عشرة قراريط وكل ذلك من الأغبل وهو ممَّا لا يُرى منهُ ابدًا في صقع من تلك الاصقاع . وعلى قول الاعراب: انهُ كان ثَمَّ في سابق الزمان مدينة عظيمة استنزل سكانها غضب الله عليهم بدوام ركوبهم مطايا الخطايا وذلك التمثال كان يمثّل في الاصل امرأة يرتكب المنكر مع أخته

ثم ان كِپل مسحَ طاق كسرى فأدَّت بهِ نتائج اقيسته الى نفس مؤدَّى ريش . لكنهُ لا يعتبر طاق الوسط نصف دائرة بل يعتبرهُ شلجميًّا يقرب بعض القرب من الهلاليّ . وعلى رأيهِ ان ابنيتهُ كلها متقوِّمة من الآجر المشويّ لكنهُ دون الآجر البابليّ في الإحكام والاتقان والمتانة . واسفل البناء قد تأكَّل من غمر المياه لهُ وهي الدائبة في إتلاف ما بقي من تلك الاخربة . وكل سنة يأتي مزار سلمان پاك جمّ غفير من الحجَّاج والزوَّار من جميع النواحي الدانية ويقفون عند طاق كسرى

ولعلَّ هذا هو السبب الذي حال دون اندثاره واندراسه (١

وفي ك١ سنة ١٨٣٤ (ليلة عيد الميلاد) زار اخربة سلوقية زيارة مقتبس آثار بابلي فرازَر (٢ ومعهُ الملّيان فَثلي وَرُس فعبروا دجلة في بغداد ووجدوا الارض مخصبة مريعة وقد غطّتها العضاه والكَبَر والخُروب المتخذة في هذه البلاد بمنزلة الوقود. وبعد ان تجوّلوا في تلك النواحي على حُصنهم مدّة ٥ ساعاتٍ ونصف وجدوا انفسهم بازاء موقع سلوقية القديم وعرفوها من اركانها التي اصبحت قياماً وقعوداً. ومن حيطانها التي اضحت ركّعاً وسجوداً. متداعية الى الزوال. متضافرة على الاندراس والاضمحلال. ومحيطها يبلغ فسحةً عظيمة المجال. مبعثر على وجهها بقايا انقاض واطلال. وقطع خزفٍ وزجاج قد لصق بها شيء من الصلصال. وقد توصَّل فرازر الى ان حصَّل من رُعاة تلك الناحية نُقاميَّ ومسكوكات وحجارة منحوتة واساطين من البلّور الحجري وتماثيل صغيرة من المدن. وفي انتقالهم من سلوقية الى الحلّة استنتج فرازر ان تلك البقعة من بلاد الجزيرة كانت آهلةً بالسكان في غابر الزمان. وكانت المنازل والقرى والبلدان قد ضيَّقت ذلك المكان. فسبحان من يغيّر ولا يتغيّر على ممرّ الازمان

امّا ما كتبهُ الكولونل جسني فلا يزيد شيئاً على هذه التفاصيل ولهذا لم نتعرَّض لتعريب كلامهِ. امّا آخر من زار هذه الآثار القديمة من العلماء فهو پيترس واصحابهُ. وهذا معرَّب ما جاء في كتابهم (٣

«تمتدّ اخربة طيسفون امتداداً بعيداً غير انهُ في اليوم الذي ذهبنا اليها كان المطر يتساقط مدراراً ولم نستطع ان نرى إلّا شيئاً يبعد عنّا اقداماً. وعليهِ فقد قصرنا بحثنا على ايوان كسرى وعلى الذي كان في جنوبيّ القصر وهو على مسافة ١٠٠ قدم او اكثر وطاق ايوان القصر مفتوح نحو الجهة الشرقيّة وسمكهُ ١٠٦ اقدام على ما ذهب اليه لَيَرد (Layard) وهو نفس ما توصّلتُ اليهِ تقريباً بموجب الحساب الذي حسبتهُ استناداً

١) راجع J. Keppel: *Personal narrative of Travels in Babyl.*, etc. *London* 1827 – 28, T. I, p. 122 et seq.

٢) طالع كتابهُ J. Baillie Fraser: *Travels in Koordistan, Mesop.* etc. *London.* 1840, Vol. II. p. 19 et seq.

٣) وهذا عنوانهُ: Peters: *Nippur or Explorations and Adventures on the Euphrates*, First compaign, page 158.

على سُوف الآجرّ. وتبلغ المسافة التي بين مدخل الايوان الى آخر حائط منهُ ٤٧ خطوة او ١٥٠ قدماً. ويبلغ ثخن الحيطان التي تتلقّى الطاق ٧ امتار وفي الجهة الغربيَّة من البهو باب في الوسط. وامّا جهتهُ الشرقيَّة فمفتوحة كل الفتح على ما تقدَّم الكلام عليهِ. وقريباً من المدخل بابان من الجهتين الشماليَّة والجنوبيَّة ويؤدّي باب الجنوب الى مجاز معقودٍ وراء صدر البناء وهو الى اليوم شاخص ماثل. ولهذا الصدر ستّ طبقات متصاعدة علوّاً ويبلغ ثخن الحيطان عند اسفلها ٦ امتار. وكان خارج صدر البناء مجصَّصاً على حدّ ما يُشاهد في داخل الاواوين. وكان وراء هذا البناء يمتدّ في الاصل نحو الغرب امتداداً يُشبهُ البهو كما يتحقّقهُ كل باحث اذا ما تأثّر بقايا اساس الحيطان ورسوم البناء من جهة الغرب. وصدر هذا الصرح لا يُترجم ترجمةً صادقةً عما وراءهُ من البناء.

« وشواخصُ رسوم هذا القصر الكسروي تنطق نطقاً فصيحاً بان جانبَي الايوان الواحد يمثّل كون الجهة الغربيَّة تشبه كل الشبه الجهة الشماليَّة. هذا واني وان كنتُ قد دقّقت النظر في التلّ الباقي هناك فمع ذلك لم اجد دليلاً بيّناً على وجود بناء كان سابقاً في الجهة الجنوبيَّة يُشبه بناء الجهة الشماليَّة

« وشاهدتُ امام الايوان نحو الشرق جُثوةً من الفُهور تدفعني الى التكهُّن بان الردهة كانت تمتدّ سابقاً الى نحو الشرق على وجهٍ يخالف الهيئة الموجودة عليها اليوم لكني لمّا لم اجد رسوماً لأُسس الحيطان فمن المحتمل ان تلك الفُهور قد هوت من بعض انحاء الصرح الشاخص حتى اليوم

« ثم ان نوريان علا صهوة الطاق فوجد ثمَّ آجرَّةً مع كسرةٍ من الفخّار الاخضر قد أُحرقت في داخلها ووجد ايضاً آجرَّة بابليَّة عليها كتابة من عهد نبوخذرصَّر ولا بدع في ذلك فان الاقدمين من جميع الطوائف البابليَّة كانوا كالمحدثين ساكني هذه البقاع يتّخذون في ابنيتهم الجديدة موادّ من ابنيةِ من تقدَّمهم. وبالخصوص من موادّ ابنية بابل بعد عهد نبوخذرصَّر فانّها كانت لهم بمنزلة منجم يجلبون منها ما شاؤوا من المدَّات.» انتهى

وقد اتينا على كلام جميع من تكلَّم عن ايوان كسرى واحداً بعد واحد حسب التاريخ ليقف القارئ على ما صار اليهِ هذا الاثر الجليل الذي لم يبقَ منهُ الّا النزر القليل وليطَّلع على اندراسهِ حقبةً بعد حقبةٍ وليتعلَّم التدقيق في ما يصفهُ من الابنية

فان كل واحدٍ من هؤلاء العلماء صوَّر هـذا الصرح بقلمهِ تصويرًا يختلف مؤدَّاهُ عن كلامِ صاحبهِ. الَّا انهُ يتَّفق معناهُ في جديد قالبهِ. ويفيـدنا الثاني عمَّا فات الاوَّل من الدقائق. ممَّا يزيد في جميع الحقائق. وعلى هذا الوجه وقفنا على احسن وصفٍ وُصف بهِ ايوان كسرى. حتى يكاد يكون سلوانًا للاسرى

امَّا الماثل الباقي منهُ في هذا اليوم فهو جزءٌ من الطاق وجناح واحد من الحائط ماسك بيد العَقْد وامَّا الجناح الآخر فقد انهار في ١٥ نيسان سنة ١٨٨٨ عند ما فاض دجلة فيضانًا عظيمًا غمر ارض الايوان كلها فتقوضت تلك الجدران وتزعزعت بعض الاركان وجرَّت المياه جانبًا عظيمًا من حجارة ذلك البنيـان وقد اوشك ان يُصبح في خبر كان و:

لو تراهُ علمتَ انَّ الليالي جعلتْ فيهِ مأتمًا بعدَ عُرسِ

فسبحان من لهُ الاسماء الحسنى الذي يُفني ولا يَفنى (تمَّت)

# تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (لاحق بسابق ٥: ٦٩)

## فنّ الطباعة في الجزيرة والعراق

### المطابع في الموصل (تابع)

٢ (المطبعة الكلدانيَّة) كان ابتداء هذه المطبعة على عهد البطريرك يوسف اودو الشهير (راجع المشرق ٣: ٨٨٧) وذلك بهمَّة احد ابنـاء الطائفة الكلدانيَّة اسمهُ الشمَّاس روفائيل ابن القس بطرس مازجي الآمدي كان في اوَّل امرهِ انتظم في سلك جمعيَّة الآباء اللعازريين ثم انفصل عنها لينقطع الى عمل الخير نحو امَّتهِ. وكان المذكور ثروة واسعة خصَّصها لانشاء مدرسة اكليريكيَّة وفتح مطبعةٍ تُنشر فيها الكتب الطقسيَّة والدارسيَّة. ولم يلبث هذا المشروع ان يخرج الى حيّز العمل نحو سنة ١٨٦٣. فاستجلب الكلدان الكاثوليك مطبعةً من باريس مع كل اللوازم اللاحقة بها من ادوات وحروف كلدانيَّة وعربية وفرنسويَّة ومساكب. اما العَمَلة فكان اكثرهم ممَّن اخذوا

الصنعة عن حضرات الآباء الدومينيكان فبرعوا عندهم بصفّ الحروف. وطُبعت وقتئذٍ بعض كتب كلدانيَّة الى ان استأثر الله بنفس المحسن فتوفي بالهواء الاصفر في سنة ١٨٦٥. فأُصيبت المطبعة بموته بضربة لازبة الى ان احياها مدَّةً غبطة البطريرك اليأ عبو اليونان وكان حاذقًا في فنّ الطباعة. ثم أُهملت وبيعت بعض ادواتها لمطبعة الولاية. امَّا الكتب التي صدرت في هذه المطبعة فهي الآتية نسردها على حسب زمن صدورها :

١ً كتاب الزبور الألمي بالكلدانية على ترتيب الفرض بحرفين اسود واحمر (١٨٦٥. ص ٣٠٠+٧) = ٢ً كتاب دَقْذام ودبائر (راجع المشرق ٥ : ٧٢٠) وفيهِ الصلوات القانونيَّة اليوميَّة مع تسابيح اكثرها للقديس ماروثا (١٨٦٥. ص ٣٤٤ + ٧) = ٣ً كتاب روضة الصبيّ الاديب في اصول القراءة والتهذيب باللتين العربية والفرنساويَّة على بفقرات من تواريخ العرب تأليف المطران جرجس عبد يشوع الكلدانيّ الموصلي (١٨٦٩. ص ٢٦٦ +٧) = ٤ً بعض رسالات رعائيَّة

٣ (مطبعة الولاية) كان ظهورها سنة ١٨٧٥. وقد ساعد حضرات الآباء الدومينيكان على ترويج اشغالها فخدموا بذلك الحكومة المحليَّة خدمةً طيِّبة عرفها لهم اصحاب الامر. وهذه المطبعة لم تنشر الَّا الاوراق الرسميَّة والتجاريَّة والسالنامات والاعلانات وما شاكل ذلك. وفيها تُطبع جريدة الموصل مباشرةً من سنة ١٨٧٩

مطبعة دير الزعفران

دير الزعفران دير كبير للسريان اليعاقبة شرقيّ ماردين على مسافة ساعة منها يرتقي عهدهُ الى القرن الثامن للمسيح وفيهِ آثار دينيَّة قديمة ومقبرة لبطاركة اليعاقبة وهو مقامهم الآن

وفي عهد البطريرك بطرس الثالث الذي سبق البطريرك الحالي عبد المسيح سعى الانكليز بان يتقرَّبوا من الكنائس الشرقيَّة المنفصلة لاسيَّما اليعقوبية في بلاد الهند وما بين النهرين ودخل البطريرك الى لندرة فرحَّب بهِ اعيان الدولة الانكليزيَّة ودُعاة دينها ودخل على الملكة ڤيكتوريا فاكرمت مثواهُ وتبرَّعت عليهِ بمئتي جنيه سنويًّا لفتح مدارس ومطبعة. ولما قفل راجعًا الى ما بين النهرين دارت المراسلات بينهُ وبين الانكليز. ثم ارسل المطران غريغوريوس عبد الله الصددي المتكثلك بعدئذٍ الى لندرة فاصاب حظوى

لدى اعيانها فاهدوهُ مطبعة بكل ادواتها وذلك نحو سنة ١٨٨٧. فلمّا عاد الى بلاد الجزيرة صحبهُ سيّدان انكليزيّان وهما الدكتور تراملت والمعلّم سر منير وليم وزارا طور عابدين ومقامات السريان اليعاقبة ثم تولّيا امر المطبعة فنشرا فيها بعض كتب بالسريانية او الكرشونية ولم تشتغل هذه المطبعة الّا ثلاث او اربع سنوات ثم رجع الانكليزيّان الى بلادهما فلم يمكن احداً من السريان ان يواصل عملهما فبقيت المطبعة بلا عمل وتعطّلت بعض ادواتها. وقد سمعنا انّ الحكومة ابتاعت مطبعة دير الزعفران لاشغالها الخاصّة في ديار بكر والله اعلم. امّا الكتب التي ظهرت في هذه المطبعة فنعرف منها الآتية ولا نظنّ انهُ طُبع غيرها:

١ً كتاب المزامير. ولم نطّلع عليهِ طُبع سنة ١٨٨٨ = ٢ً كتاب الشحيم اي الصلوات القانونيّة الاسبوعية. طُبع طبعاً غير متقَن وعلى ورقٍ خشن (١٩٠٠. ص ٢٦٦). وورد في آخرهِ ما حرفهُ: «طُبع بمطبعة الشهيرة بدير الزعفران اي الكرسي الانطاكي لطائفة السريان بنفقة الشعب المؤمن الاخوة المسيحيين بانجلتيرا واشتراك ابناء الطائفة السريانية وكان ذلك في سنة ١٨٩٠.. اوّلاً بامر مولانا الاعظم ومليكنا الانخم سلطان البرّين وخاقان البحرين السلطان عبد الحميد خان أيّد الله ملكهُ الى آخر الدوران امين. ثم بمساعدة الملكة للمظمّة انبراطوريّة انجلتيرة الفخيمة وبنظارة رئيس الاساقفة ومطران لوندرة والدوكتور تراملت والمعلم الفيلسوف سر منير وليم والست حرمتهِ المؤمنة وبمجاهدة الستّ فص وباشتراك الشعب المؤمن اخوتنا شعب الانجليز الذين اجتهدوا بتنظيم جمعيّة خيريّة لاجل فتح مدارس لابناء طائفتنا السريانيّة وكان ذلك بهمّة وغيرة الحبر الاعظم مار اينغاطيوس بطرس الثالث البطريرك الكرسيّ الانطاكي الذي اشتهر عن سائانهِ بالمحبّة الجنسية... وارسل الاب المشهور بالغيرة الروحيّة غريغوريوس المطران عبد الله الى الاوندرة (لندرة) وحصل على مطبعة شهيرة قد أُهديت من المستر ميلار رشد وابنه وشركة المستر وبيس هدون مع باقي المشتركين بهذه الهديّة لدير الزعفران وهذه طبعة الثانية قد طُبعت بالمطبعة المشار اليها وذلك باعتناء مديرها اباونتيس المطران الياس والماونين لهُ الراهب منصور وراهب الياس وصفّافين الاحرف رزق الله واسكندر وجبرائيل وداود وجرجس... واذا صارت الهمّة من الجميع انشاء الله تنطبع جميع كتب طائفتنا السريانيّة...» = ٣ً كتاب التعليم المسيحيّ بقطع صغير وحرف كرشونيّ كبير (١٨٩٠. ص ٢٥٦) = ٤ً كتاب مبادئ القراءة السريانية وخدمة القداس في كرّاس صغير (١٨٩٣. ص ٢١)

## المطابع في العراق

### مطابع بغداد

نفتتح هذا الفصل بأداء فروض الشكر الى حضرة الاب الفاضل العلّامة انستاس

الكرملي والى السيّد الجليل والكاتب النبيل محمود افندي شكري آلوسي لما تلطّف به كلاهما من الافادات عن مطابع دار السلام ولولاهما لما امكنّا ان نكتب في هذا الصدد الّا ما لا يشفي الغلّة

انّ مطابع بغداد ستّة دونك تاريخها ومطبوعاتها:

١ (مطبعة ولاية بغداد) اوّل مطبعة أُنشئت في دار السلام هي مطبعة ولايتها ويقال لها ايضاً مطبعة الزوراء وهي كبيرة تُقسم الى اقسام عديدة وفيها ادوات تديرها اليد جلبها من باريس احمد مدحت باشا الشهير سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) مع مطبعة حجريّة فاخرة. وفي سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) امر باصدار جريدة رسميّة للحكومة سُمّيت باسم الزوراء. وهي لا تزال تُنشر الى اليوم في المطبعة المذكورة مرّة في الاسبوع بالتركيّة والعربية

امّا منشورات هذه المطبعة فضيّقة النطاق وهي عبارة عن اعلانات رسمية وجداول حسابية ووصولات تجاريّة وما كان من هذا الباب. ولم يُطبع فيها من الكتب الّا النزر القليل وهذه اسماء جميع ما نُشر فيها :

١ً سالنامة الولاية لكل سنة كتاب ضخم نحو ٧٠٠ ص = ٢ً كتاب قوانين التجارة = ٣ً قانون الجزاء الهمايوني = ٤ً قانون الاراضي. وقد ترجم هذه الكتب الثلاثة من التركية الى عربيّة فصيحة مهذّبة احمد عزّت افندي الفاروقي الشاعر الناثر المشهور كاتب العربيّة في ولاية بغداد = ٥ً كتاب نشوة الشَّمول في السفر الى اسلامبول (١٢٩٣. ص ١٢٦) = ٦ً كتاب نشوة المدام في العَوْد الى دار السلام (١٢٩١–١٢٩٣) وكلاهما لعلّامة عصره ابي الثناء شهاب الدين محمود افندي الشهير بآلوسي زاده مفتي بغداد = ٧ً ولهُ ايضاً في هذه المطبعة كتاب الاجوبة العراقيّة على الاسئلة اللاهورية (١٣٠١. ص ٦٤). ولم يصدر من هذه المطبعة غير الكتب المذكورة

٢ (مطبعة كربلاء) أُنشئت في قرب بغداد وهي مطبعة حجريّة جلبها من بلاد فارس احد اكابر العجم من اهل ايران سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٦ م) في عهد مشير العراق والحجاز محمّد رشيد باشا وكان محبا للعلم ومنشّطاً لاهل الادب والفهم. ولم نعرف لها الّا كتاباً واحداً وهو كتاب مقامات ابن الالوسي المعروفة بمقامات الجدّ (١٢٧٣. ص ١٣٤)

٣ (مطبعة كامل التبريزي) وهي مطبعة حجريّة جلبها من بلاد ايران الميرزا

عبّاس سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) وسمّاها بالاسم المذكور. وقد طبع فيها الكتب الآتية:

١ً كتاب اشراق التواريخ ليعقوب بن عطاالله الرومي القرماني = ٢ً كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب لابي الفوز محمَّد امين البغدادي الشهير بالسُّوَيدي وقد طُبع سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) صفحاته ١٢٠ = ٣ً كتاب الطرائف واللطائف للشيخ ابي نصر احمد بن عبد الرزّاق المقدسي. وقد علّق عليه حواشي وابياتاً الحاج محمَّد امين الموصلي (١٢٨٣هـ-١٨٦٦ ص ٢١٥) = ٥ً المقامة الطيفيَّة لجلال الدين السيوطي. وهذه الكتب كلّها مطبوعة على نفقة الحاج محمَّد امين المذكور. وكان خطّاط المطبعة محمَّد جوَاد الفارسي الاصل

٤ (المطبعة الحميديَّة) وهي مطبعة حجريَّة أُنشئت سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) صاحب امتيازها عبد الوهّاب افندي نائب بغداد ولم تدُم الّا بضع سنوات وقد طُبع فيها جداول حسابية ورسائل فقهية وكُتيب اسمهُ: «بحر الكلام» لسيف الحقّ ابي المعين النَّسَفي

٥ (مطبعة دار السلام) أُنشئت سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) وصاحب امتيازها ابراهيم افندي مدير السنيَّة في العمارة ولم تطبع من الكتب الى اليوم الّا كتابين وهما:

١ً كتاب الفوائد الآلوسيَّة على الرسالة الاندلسيَّة. تأليف السيد عبد الباقي افندي ابن السيد محمود افندي زاده طُبع سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) = ٢ً كتاب بلوغ الارب في احوال العرب تأليف العلاَّمة السيد محمود شكري افندي بن عبد الله بن محمود الآلوسي سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦م) وهو في ثلاثة اجزاء مجموع صفحاتها (١٢٢٠+٢٠) (راجع المشرق ٢: ٥٢٢ ; ٣: ٢٢٦ ; ٤: ٢٢٦) وهذه المطبعة تطبع اعلانات ومنشورات واوراقاً متنوّعة

٦ (المطبعة اليهوديَّة) أنشأها سنة ١٨٩٤ اليهودي شلومو بيخور. وقد طُبع فيها كتب عبريَّة مدرسية ورسائل ومناشير تجاريَّة ونحو ذلك الّا انهُ لم يُطبع فيها الى اليوم كتابٌ عربيّ

مطبعة البصرة

في البصرة مطبعة صغيرة طُبعت فيها سالنامات وجريدة رسميَّة وفذالك واوراق تجاريَّة ولا نعرف من امرها غير ذلك (انتهى تاريخ فنّ الطباعة في العراق)

# ساعة شيخ البلد

للاب أنطون ربّاط اليسوعي

اذا ما خرجت يوم عيد في زمن الربيع من مدينة ليون فسرتَ اصيلًا على ضفّة نهر « السون » متتبعًا جريانه الى حيث يجتمع مع نهر « الرون » فيمزجان مياههما رأيت منظرًا بديعًا فتلّ فورڤيار (Fourvières) يمتدّ امامك وهو يزهو غضارة ونضارة تتخايل بين ادواحه قصور وابنية انيقة اتخذها موسرو البلدة مرابع لهم يلجأون اليها اذا ما لفحهم القيظ فان آثرت المسير على الأقدام والّا فان قطارات الترمواي الكهربائي تترادف مارّة كالشهب فاختر ايّها شئت توصلك الى جسر « المولاتيار » باجرة لا تتجاوز العشرين بارة ومنهُ تتسنم معطف الرابية براقي اوّلًا ثم بشعاب وعرة المرتقى حتى اذا ما وصلت الى جادّة « سنت فوا » عرّجت يمينًا الى ساحة فسيحة فيها قوم من الفعلة والاكّارين اجتمعوا عائدين من الكنيسة بعد صلاة المساء جريًا على عادة مسيحيي الغرب أيام الآحاد والاعياد

ثم ترى القوم يتفرّقون ارهاطًا كل رهط على قسمين يلعبون بالكرات يدحرجونها ترويحًا للنفس من هموم الاشغال اليومية فيتجاذبون اطراف الحديث بهناء لا يشوب سلامهُ شائبة . ففي بعض الأيام بعد ان اخذوا نصيبًا من الراحة وملّوا اللعب احدقوا بشيخ قد جلس على حدة ينظر اليهم وكانهُ بانتظارهم . وكان الرجل بيّن الشيخوخة احنى عبء السنين صلبهُ ولعب الشيب في لمّته المنحدرة على كتفيه كمقد من لجين فزاده جلالًا وكانت تبدو على غضون جبينه سيماء التحنك والدراية

فقال احدهم وكان فتى غضّ الشباب : لم تنجز بعدُ يا ابانا كبار ما وعدتنا بهِ من القصص

فاحاطوا بهِ احاطة السوار بالمعصم يسألونهُ ان يشرح صدرهم بشيء من اخبار الاوّلين

فرفع الشيخ طرفه اليهم وقال : اتريدون ان اقصّ عليكم ما سمعتهُ او ما رأيتهُ بالعيان ؟

قالوا: بل ما رأيته

— ما رأيتهُ ؟ اني رأيت اموراً جمّة لا يزال ذكرها في صدري كأني اليوم شاهدتها او هل اخبرتكم بساعة شيخ القرية ؟

— لا لا لم نسمعها بعد

— اسمعوا

فاصغوا جميعاً كأنَّ على رأسهم الطير.

قال الراوي: قد مضى على هذا ستون سنة ونيف كنتُ اذ ذاك في ريعان الشباب لم اتجاوز السابعة عشرة من عمري وقد تُوفي ابي وانا صغير ولم تلبث ان لحقتهُ امي لما داهمها من الغمّ والحزن

قال هذا وتقبضت جبهتهُ فمسح بمنديله دمعةً سالت على خدّه الخدّد ثم اردف كلامهُ وقال: فاصبحت يتيماً لا املك شروى نقير ولا اعرف صنعة تكسبني المعيشة غير انهُ كان لي المام بشيء من الغناء اخذتهُ عن جوّالة المغنين ولا يخفى على الرجال بينكم ما كان عليه اباؤنا في الازمنة الغابرة من الشغف بالاغاني الوطنيَّة والالحان القديمة والادوار الزجليَّة التي اضحت اليوم نسياً منسياً في ظهراني من يدعون انفسهم اولاد عصر التمدُّن كأنهم قد اكتشفوا على الشمس والقمر ونحن كنَّا لها جاهلين

قال هذا ووجّه طرفه بابتسام يستشفُّ من ورائهِ شيءٌ من الاسف الى حلقة الشبان المكتنفين به

فقاطعهُ احدهم: لا تغضب علينا يا عمّ كسبار اننا نقدّر اغانيك والحانك القديمة حقَّ قدرها فلا تصوّب الينا سهام مذمّة نحن منها خلاء وبراء

قال آخر: وبرهاناً لذلك نطلب اليك ان تسمعنا الليلة شيئاً من نغماتك المطربة فنكون لك من الشاكرين

قال كسبار: حبًّا وكرامة. ثم عاد الى حكايته

«قلتُ اني كنت عارفاً بالغناء. فرأيت ان اتخذهُ لي حرفة فاطوف الاسواق واترصَّد المواسم في القرى المجاورة فاعيش قنوعاً بما يقدّرهُ الله لي لا ارغب في الثروة ولا أُعلّل الآمال ببلوغ معالي الرتب فاصبح يوماً سيّداً او اميراً كما يفعل فتيان عصرنا»

فتبسَّم الحضور لنكته ولم يقاطعوه

« ولكن اليد الوحيدة لا تصنق كذلك لا بدّ للغنا من رفقة وذوي آلات فسهّل الله لي الامر على احسن ما كنت اروم وذلك اني بينا كنت اطوف يومًا وحدي في انحاء الجبل الذهبي(Mont-d'Or) رأيت شابًا طويل القامة صبيح الوجه حسن الشارة اهيف مَن تبصر في ملامح وجهه خيّل لهُ انهُ لم يبلغ الحِنث لما فيهِ من صفاء اللون واصفراره على حين كان قد ناهز او جاوز العشرين وكان اسمهُ الفريد الصبودي »

فقال احدهم: هو الفريد شتروب المغني الذي دُفن هناك على جنب كنيسة قريتنا.

— هو هو فقد ذهبت مرارًا لاصليّ على قبر هذا المسكين صديق صباي ولم يعش طويلًا لما كان قد قاساه في صغره من الجوع وضنك العيش يتيمًا وحيدًا فضى مرارًا الليل تحت الجسور عرضة للبرد والارياح. فتأثرتُ من جرّاء ذلك بنيتهُ النحيفة وجرى داء السل في صدره فقصفهُ غصنًا نضيرًا لم يبلغ الثانية والعشرين من عمره فعُنيت بهِ مدة مرضه عناءي باعزّ الاخوان ولمَّا قربت ساعته. قال لي: « اني احس ان قواي قد خارت فهل لك ان تدعو لي كاهنًا ». فاسرعتُ ولمَّا جاء الكاهن سمع اعترافهُ وزوده بالاسرار. ولم يلبث ان اسلم الروح بسلام لم اره قط في ميت. رحمهُ الله فاجاب الحاضرون: الله يرحمه

— قال احدهم. وساعة شيخ البلد نسيتها يا عمّ

— قال كسبار: لم انسها. وكان لالفريد صوت رخيم اذا غنى خشيت الحمام يغرّد ويستنيح في صدرهِ فتؤثر نغمتهُ في الافئدة ايَّ تأثيرٍ مسُّ الربابة مسًا لطيفًا فترنّ تحت اناملهِ وتصيح صياح الثكلى. فلمَّا سمعتهُ واطّلعت على حذقهِ عرضت عليهِ الشركة في اكتساب العيش فنكون يدًا واحدة وقلبًا واحدًا ونحلب الدهر اشطرهُ. فرضي ولمَّا لم يكن ذا خبرة في التدبير ضعيف الجاش اذا رأى خيالًا طار قلبهُ شعاعًا كنتُ لهُ كالاخ الكبير والمدبر يتبعني كظلّي ويثق بي وانا اصغر منهُ سنًا

فقضينا اشهرًا معًا نجول في انحاء ليون وسنت اتيان في هناء ورغد حتى انضمَّ الينا شاب آخر يُدعى شارل اولين. وكان لهذا اب حيَّاك فلم يرضَ الابن ان يتّخذ حرفة ابيه فضاقت بهِ اسباب المعيشة فتبعنا وكان اهوج مهذارًا متهورًا ذا سحنة مضحكة وقحًا اذا لقي من خصمهِ فشلًا لكن اذا فجأتهُ فاجئة ونظر اليهِ قرنهُ شذرًا أرعش جبنًا

وتلجلج لسانهُ فقرقر كالدجاجة عيًا وخرقًا. على انهُ كان يزمر حسنًا ولم يلبث طويلًا في شركتنا لانهُ سمع بفتح الجزائر فسار اليها رغبة في الثروة ولا ادري اهو الآن حي او ميت

وفي بدء سنة ١٨٣٠ أنبئنا انهُ سيقام في نواحي « لونس لوسونيه » -Lons-le-Saunier) موسم عظيم يجتمع فيهِ الوف من الباعة من كل اطراف مقاطعة جورا فاغراني شارل على الذهاب اليهِ لنزور البلاد ونغني فتزيح ربحًا عظيمًا. فتلقَّيت هذه الدعوة ببشر لاسيَّما انَّ ثمَّت كانت تقيم ابنة تجمعني واياها قرابة تدعى حنَّة لا يتجاوز عمرها عمري اتت الى سنت فوا وهي صغيرة فكنا نلعب سويَّةً وتواعدنا على الزيجة اذا ما كبرنا واتاحت لنا المقادير ثم عادت الى بلاد « فرنش كونته » وقد أُعلمتُ انَّها خادمة في فندق يسمى فندق الفرس الاحمر فرغبت في زيارتها لاذكّرها ايَّام الصبا وارى هل هي مقيمة على العهود

فاعددنا الزاد ووضعنا سُفرتنا في جراب وسرنا مشيًا على الاقدام لان السكك الحديديَّة لم تكن عندئذٍ في عالم الوجود ولو كانت لما مكَّنتنا اكياسنا الفارغة من ركوبها وصرنا نقطع المراحل تارة نتجاذب اطراف الحديث وطورًا ننشد الاغاني فيزمر شارل وينقر الفريد ربابتهُ وانا اعاونهما في الغناء وكنَّا نبيت في القرى فننقد مضيفينا غناء وانشادًا بدلًا من الدرهم والدينار الى ان صرنا على مرحلة من المدينة محطّ رحالنا فقضينا ليلتنا في قرية نسيت الآن اسمها وبعد الظهر قلت لاصحابي: هلموا بنا الى « لونس » اذ لا بدَّ لبلوغها من السير الحثيث فنأوي الى نزل الفرس الاحمر ونصبح نشيطين والَّا لاضطرَّنا الليل ان نبيت في الغابات وغدًا رأس السنة الجديدة ويوم موسمنا

فاذعنا لمقالي وسرنا وكان البرد قارسًا والثلج يتساقط فيكسي المزارع والآكام ثوبًا ناصع البياض تبدو من خلاله اشجار السنديان تتلاعب فيها الريح فتتمايل زهوًا ودلالًا فقطعنا ضياعًا وعبائر تارة نتسلَّق الروابي وطورًا نهبط في الاودية وحولنا جبال قد ائتزرت بالسحاب واعتمت بالثلج الى ان انهار جرف النهار وبانت « لونس » في منعطف وادٍ تكلّل مفرقها قمم زبرجديَّة الالوان وتحيط بها الاشجار والحقول كمنطق من المخمل يلمع تحت اشعَّة الشمس الآذنة بالغروب

فتركنا جادّة الطريق وسرنا على حاشية غابة مظلمة حسبناها توصلنا الى منتزه «لونس» المشرف على المدينة حيث يقام الموسم ومنهُ نتحدر الى المدينة. وكنّا نسرّح الابصار في بديع ما بسطتهُ الطبيعة على مرآنا والفريد ينظر الى ظلمات الغابة بتوجس كأنّ في طيّها زُمَرًا من الجنّ واقفة له بالمرصاد لتختطفهُ. فجعل يغني مكررًا ادوارًا حماسيّة حينًا بعد حين عسى ان يكشف عن قلبه غمامة الخوف الى ان غاض قرن الغزالة وراء الجبال وجاء الليل ناشرًا اجنحة الظلام فحثثنا السير واذا بصوت انكرناه ارتعش له الفريد فالتفت الينا قائلًا: انا في خطر

فقلتُ: دع عنك هذه الاوهام انّ الطريق امينة فلا خوف علينا وها القرية تجاهنا اقرب الينا من حبل الوريد

قال شارل: اظنُّ الفريد يخاف الوحوش الضارية. لا بأس عليك يا رفيقي فليس للسباع في النحيف مثلك مأكلٌ دعهم وكبار فاين الله انهُ لاسمن من الخروف المسنّ وهو اهلٌ لان تقرمهُ اسنان الغيلان

قال الفريد: ناشدتك الله دع عنك ذكر الغيلان فانها تذكرني ما طالما قصّتهُ عليّ جدّتي من اخبارهم فاقشعرّ منهُ جلدي وعظمي

ثم رسم على جبهته اشارة الصليب ورفع عقيرتهُ يغنّي. واذا بالصوت الذي سمعناهُ ينتهرنا مرّة أخرى. فانتُقع لون الفريد والتجأ اليّ كما يفعل الفرخ اذا رأى الباشق منحطًا عليه. فسكّنتُ روعهُ وتجلّدت وتقدّمت الى حافة الغابة لارى هل هناك احد واذا بكهل طويل القامة لحيم البدن ذي وجه عبوس وهو راكب على بغلة تنوءُ تحت ثقل جثته الضخمة بان من خلال الدوح والعوسج الملتفّ عن يسارنا. فتقدمت اليه فقال: انعموا مساء ايها الشبان

فبرقت فيه ناظري واجبتهُ على تحيتهُ وعاودنا السير

فقال: الى اين انتم ذاهبون؟

قلت: الى لونس لوسونيه

قال: عودوا حالًا على الاعقاب اني لكم ناصح فان في دخولها خوفًا عليكم

قلتُ: واي خوف ونحن شبّان نغتنم ايام المواسم والاعياد فنطوف القرى ونميش من غنائنا دون أن نتعرّض لاحد

قال: اكرر عليكم مشورتي ستلقون خطرًا
قلتُ: دع عنك الخوف يا شيخ السلام
قال: قد انذرتكم وقد أعذر من أنذر

( التتمة للآتي )

# اطيب مثال

## في ترجمة المطران جرمانوس الشمالي

نبذة للكاتب الفاضل الخوري بشاره الشمالي

الحياة دعوات ومواهب لله الباري عزَّ وجلَّ وما حياة الطيّب الذكر المطران جرمانوس الشمالي الشهير بالمبرّات ألّا حياة رسول الانذار والتبشير في ديارنا الشرقيّة في النصف الاخير من القرن السابق اصطفاهُ الله ليكون قدوةً للاحبار ومثالًا لاهل الفضل وذوي الغيرة. فايفاء بالوعد واجابةً الى رغبة مدير هذه المجلّة نزفّ الى قرّاء المشرق الكرام لباب حياة هذا الحبر الجليل التي اودعناها في كتاب مطوّل وسناهُ بالدرر الغوالي من حياة المطران جرمانوس الشمالي ونشرناهُ بالطبع مزيّنًا برسوم عديدة. ونقسم نبذتنا هذه الى ثلاثة ابواب نصف في اوّلها الرجل واهم اطوار حياته التي تقلّب فيها. وفي ثانيها المرسل واعمالهُ وطريقتهُ المُثلى في الوعظ والخطابة. وفي ثالثها نعتبر المؤلف والشاعر والمراسل وكلُّ ذلك على وجه الاجمال فرارًا من الاسهاب المملّ. ومن استزاد فعليه بالكتاب المتقدّم ذكرهُ

١ الرجل واطوار حياته

سُهيلة قرية خاملة تتوسّد منحنى جبل من مقاطعة كسروان يبعد عن البحر نحو ميلين على كتف قرية عينطورا ذات المدرسة الشهيرة تحدق بها الغابات والاحراج الكثيفة كأنّها

سلطانةٌ حُلَلُ الحرير محيطةٌ بقفاها من اخضر او اصفرِ
والبحر يرقص عند اسفل عرشها مستثنيًا بدويّه عن مزهرِ

فهذه هي القرية التي احتلّتها أسرة الشمالي منذ نحو مائتي سنة فنمت عددًا وفضلًا حتى زانها الله بفرعٍ جديد اولاها فخرًا على فخرٍ ألا وهو صاحب الترجمة فرنسيس ابن

الخوري ميخائيل بن منصور بن يوسف الشمالي الذي اشتهر في آخر حياته باسم جرمانوس

.. ولد فرنسيس في اوائل شباط من سنة ١٨٢٨ من والدين بارَّين بعدأن التقى من كدرزهما وكان المولود ثالث اخوة اربعة لم يبقَ منهم في قيد الحياة الَّا اصغرهم

فنشأ الصبيّ في حجر والديه تقيًّا ريّض الطباع محمود الاخلاق محبًّا للعبادة . ومماً اتَّصف به في سني عمرهِ الاولى تعبُّدهُ لمريم العذراء تلقَّن ذلك من امّهِ وهو في المهد فنما ونمت في فؤادهِ محبتهُ نحوها وتأصَّلت عروقها في صدرهِ وما زالت تزداد نموًّا مع الأيام الى آخر نسمة من حياته وقد كافأتهُ البتول الطاهرة عن عبادته هذه بان استدعتهُ الى دار البقاء يوم عيد الحبل بها البريّ من دنس الخطيئة الاصليَّة

وكان فرنسيس متوقّد الفهم سريع البديهة جيّد الحافظة فارسلهُ ابواهُ مذ ترعرع الى مدرسة مجانيَّة كان انشأها في عين طورا في القرن السابق الاب بطرس مبارك اليسوعيّ المارونيّ ولم يزل يتردَّد اليها حتى اتقن دروسها وهي عبارة عن مبادئ القراءة العربيَّة والسريانيَّة واصول الخطّ مع نظر في الكتب الطقسيَّة لمساعدة الكهنة في الرتب الدينيَّة . وبلغ ذلك قبل ان يدرك العاشرة من عمرهِ

وبعد ان انجز فرنسيس دروسهُ البدائيَّة طفق يعضد اخوتهُ في قضاء حاجات البيت ومناظرة الاملاك وهو مع ذلك يراجع في اوقات الفراغ ما تعلَّمهُ ويتمنَّى لو يُتاح لهُ ان يدخل احدى المدارس كي يستقي من ينبوع علومها الزلال

وفي اثناء ذلك سمع الشاب صوت الله يدعوهُ الى خدمته وزادهُ رغبةً في هذا الامر انهُ قضى بضعة اشهر في مدرسة مار سركيس ريفون الاكليريكيَّة حيث تقوَّى في درس السريانيَّة فعمل فيه منظر تلامذتها وودَّ لو تيسَّر لهُ ان يكون مثاهم . فكان يطلب الى الله والى والدته البتول ان يقرّبا اليه مرغوبهُ ويبلغاهُ اقصى غايته

فاستجاب الله صلاتهُ وفاز ببغيتهِ بعد زمن قليل فانهُ بلغ السيّد اسطفان الخازن مطران دمشق ما كان عليه فرنسيس الشمالي من ذكاء الفهم وحسن التقوى وانهُ تائق الى الدروس ليخدم الله في الدعوة الكهنوتيَّة فسُرَّ بذلك وارسل الشاب الى مدرسة مار عبدا هرهريّا فدخلها وقلبهُ يستطير فرحًا كمن اصاب كنزًا دفينًا يؤمّنهُ من كوارث الدهر او مَعينًا صافيًا يبرّد فيه غليلهُ . وكأنّي به قد ردَّد في فكرهِ ما قالهُ بعد ذلك في وصف العلم (نظم اللآلي ص ٥٦) :

العلم للعقل مثل النور للبصرِ من أحرز العلم نال الفوز بالوطرِ
من حازهُ حاز كنزًا ليس تسلبهُ ايدي اللصوص ولا ذو المكر والغررِ

لم يباشر فرنسيس العلوم التي طالما رغب اليها حتى عكف على تحصيلها واندفع الى إحرازها بما لا مزيد عليهِ من النشاط والغيرة. وكان يجد في موقع مدرسة مار عبدا ما يحبّب الدرس الى قلبهِ فانَّ هذه الدار في عزلة عن ضوضاء العالم مبنيَّة في وادٍ نضير تزينهُ احراج الصنوبر والحدائق المثمرة. ويروي هذه الغياض جدول ماء زلال يتحدَّر في وسطها مترقرقًا

ففي هذا المكان النزّه صرف فرنسيس الشمالي سبع سنين عدَّها من اسعد ايَّام حياتهِ فتفرَّغ الى اقتناء كلّ العلوم الكهنوتيَّة من فصاحة وفلسفة ولاهوت مع درس العربيَّة والسريانيَّة. على أنَّهُ كان منشغفًا بدرس الكتاب المقدَّس يمعن في معانيهِ النظر ويتعلَّم منهُ قطعًا عن ظهر قلبهِ ويطالع شرحهُ وقد داوم على درس الاسفار المقدَّسة مدَّة حياتهِ كلّها. ومن آثارهِ الباقية في ذلك انهُ نسخ كل تفسير العهد الجديد لكرنيليوس الحجري بيدهِ وهو عبارة عن ١٥١٠ صفحات في ثلاثة مجلَّدات ضخمة

وبلغ حبُّ فرنسيس للدرس الى انهُ كان يحرص على وقتهِ حرص البخيل على مالهِ فلم يُضع منهُ شيئًا. وكان في مدَّة تنزُّه الدارسين يعتزل عنهم لمطالعة كتاب او لمراجعة درس وما كان ليصرفهُ عن ذلك صارفٌ حتى في أيَّام الشتاء والبرد القارس فلا عجب بعد هذا انهُ احراز قصبات السبق في مضمار العلوم وفاق على رفقتهِ ونجح نجاحًا بيّنًا في الامتحانات التي قدَّمها لدى الاساتذة الفاحصين فأدّوا لهُ شهادة تؤذن باهليَّتهِ وفضلهِ

وكان فرنسيس مع انكبابهِ على العلوم لم يغفل امر نفسهِ فانهُ كان يهتمّ بأن يزيّن قلبهُ بالفضائل التي تمكّن ارباب الكهنوت من مباشرة اعمالهم الشريفة في سبيل الله وخلاص القريب. وكان بقدر ما يقترب من يوم ارتقائهِ الى درجة الكهنوت السامية يزيد قلبهُ برًّا وقداسة الى ان اسفر صباح ذلك اليوم السعيد الذي اتخذ فيهِ الربَّ وحدهُ نصيبًا وميراثًا وكان ذلك في ٥ آب سنة ١٨٥٥ على يد سيادة المطران اسطفان الخازن وجرى الاحتفال في كنيسة سُهَيلة الرعائيَّة. وثاني يوم تكهُّنهِ وهو يوم عيد التجلي اقام للمرَّة الاولى قدَّاسًا حافلًا حضرهُ جمهور الاقارب واهل القرية فتأثروا لما وجدوهُ في الكاهن الجديد من التقوى الملائكيَّة وكان ذلك اليوم عيدًا بهيجًا قضاهُ الخوري

فرنسيس في مسقط رأسهِ بين التهاني والمسرَّات. وفي مساء النهار أوقدت المشاعل وأُطلقت البنادق وعلت اصوات الفرح ودام ذلك هجمةً من الليل

وما كاد الخوري فرنسيس يرشف كأس الهناء حتى دعاهُ الله الى الشغل وتضحية نفسهِ في سبيل القريب فاتاهُ امرٌ من غبطة البطريرك يوسف الخازن ليعود الى مدرسة مار عبدا ويتولّى رعاية تلامذتها وتهذيبهم في الآداب والعلوم الكهنوتيّة فاجاب الى دعوة غبطتهِ وباشر مهمّتهُ الجديدة بما عُرف بهِ من النشاط والهمّة. والذين تتلمذوا لهُ يثنون حتى اليوم على صفاتهِ الطيّبة كغزارة علمهِ وإحكامهِ في الشرح ولين جانبهِ في المعاملات وحرصهِ على تثقيف الطلبة في العلم والفضيلة دون مراعاة الاشخاص. وقد خرج من تلامذتهِ سادة افاضل وكهنة اجلاء أدّوا ولا يزالون الخدم الجليلة لطائفتهم

وكان الخوري فرنسيس يستريح من تعب التدريس بنسخ الكتب الثمينة. وقد بلغ ما خطّتهُ يدهُ الطاهرة في تلك المدّة نيفًا وعشرين مجلّدًا في العلوم الدينيّة والدنيويّة في اللغتين العربيّة والسريانيّة ممّا تستغرق مطالعتهُ السنين الطوال. وكان مع ذلك لا يفتر عن اتمام كلّ اعمال الكهنة الغيورين من رياضات ومواعظ واستماع الاعترافات وما اشبه ذلك

الّا انّ قلب هذا العبد الامين كان يتوق الى اكثر من ذلك فكانت رغبتهُ الى ان يتعاطى كلّ اعمال الرسالة والتبشير ويشتغل في حراثة كرم الربّ دون عائق. فانالهُ الله قصارى بغيتهِ بعد زمن قليل. فانهُ لمّا كانت سنة ١٨٦٥ تيسَّر للطيّب الذكر والمبرور الساعي المطران يوحنّا الحبيب ان ينظّم جمعيّة المرسلين اللبنانيين في دير الكريم فكان الاب فرنسيس الشمالي من اوّل الذين انتظموا في سلك هذه الجمعيّة وتمّموا كلّ واجباتها مع نسيبيهِ الخوريين فرنسيس واسطفان الشماليين. وقد امتاز صاحب الترجمة ببراعتهِ في الوعظ وطرائقهِ المبتكرة في اقامة الرسالات حتى شاع اسمهُ في جميع انحاء لبنان بل في سوريّة كلّها. الّا انّ قداسة سيرتهِ وشظف عيشهِ وتقشفاتهِ كانت تفعل في النفوس أكثر من بلاغة خطبهِ. وذلك ما حمل رؤساء الطائفة الى ان يعهدوا اليهِ مرارًا بشؤون الملّة فقام باعبائها احسن قيام

ولمّا انس منهُ غبطة البطريرك المثلّث الرحمات يوحنّا الحاج وسائر السادة الاساقفة هذه السجايا الفريدة وحسن التدبير للامور اجمعوا على انّ الخوري فرنسيس افضل راعٍ

يقام على ابرشيَّة حلب المترملة منذ سنة ١٨٨٨ . ومن ثمَّ بينا كان المرسل الغيور يصرف مجهوده في عمل الرياضات في سواحل بيروت إذ بلغتهُ رسالة من السيّد البطريرك يأمرهُ فيها بالمثول امامهُ دون تأخير فقام لساعتهِ وذهب توًّا الى بكركي المقرّ البطريركي مساء عيد الميلاد وهو لا يعلم بما هيَّأَهُ الله لهُ . فلما وقف على نيَّة رئيسهِ وعرف انهُ لا مناص لهُ من طاعة اوامرهِ حنى الرأس لنير الاسقفيَّة رغمًا عن نفوره طالبًا من الله أن يساعدهُ على القيام باعبائها الشاقَّة

وتمَّت حفلة التكريس في ثاني عيد الميلاد بأُبَّهة عظمى فاتخذ منذ ذاك اليوم اسم جرمانوس لما لهذا الاسم في قلوب الحلبيين من الوقع الحسن وقد زيَّنهُ قبلهُ اسقفان جليلان احدهما المطران جرمانوس فرحات الطيّب المآثر

وما بلغ الحلبيين خبر انتخابهِ راعيًا عليهم حتى ترطَّب لسانهم شكرًا لغبطة السيد البطريرك وائتلفت القلوب وبطلت الاحزاب وباتت الرعيَّة تنتظر بفروغ الصبر ورود حبرها الذي عشقتهُ القلوب قبل ان تنظر اليه العيون

وكان يوم دخولهِ الشهباء يومًا مشهودًا بل موسمًا معدودًا اهتزَّت لهُ المدينة كلّها وقد قدَّرهُ الحلبيُّون منذ رأوهُ حقَّ قدرهِ واقتنص محبَّتهم من اوَّل خطبةٍ القاها في ظهرانيهم يوم وصولهِ فعرفوا بهِ راعيًا غيورًا وابًا محبًّا اتاهم ليتفانى في خير نفوسهم

ولم تكذب فيهِ آمال رعيَّتهِ بل الاولى أن يُقال انهُ بلغ حيث لم تبلغ الامانيّ والهمم مع قصر مدَّة رعايتهِ التي لم تتجاوز ثلاث سنوات لكنهُ قد صدق فيهِ قول الحكيم: انهُ استوفى بزمن قليل سنين كثيرة

فانهُ ما كاد يستقرُّ على كرسيّهِ حتى وجَّه همَّتهُ الى توفير اسباب نجاحهِ وابتدأ بامور الدين ولها السبق والتقدُّم فباشر القاء الارشادات والمواعظ على شعبهِ في الآحاد والاعياد وفي آونة الرياضات فتقاطر الناس الى استماعهِ وكان يأتيهِ السامعون من جميع الملل والنحل فيشهدون لهُ بطول الباع في فنّ الخطابة وقد ارتدَّ كثيرون من الخطأة على يدهِ الى جادَّة الفضيلة

ومن اعمالهِ المبرورة انهُ انشأ الاعمال الخيريَّة ونشَّط الاجتماعات التقويَّة والاخويَّات واهتمَّ بتربية الاحداث وقد بنى لهم مدرسةً ليتثقَّفوا فيها بالدين والآداب وجدَّد المطبعة المارونيَّة لنشر الكتب الدينيَّة والادبيَّة

وفي مدَّة اسقفيَّتهِ اليسيرة اصلح عدَّة امور في كنيستهِ الكاتدرائيَّة ففرش الخورس بالبلاط واقام منبرًا للوعظ وابتنى مذبحًا للقديس يوسف. وكذلك اصلح الكنيسة القديمة وجعلها مصلًّى لدارهِ الاسقفيَّة وفيها كان يقدّس ايَّام الشغل. ومع ما تكلَّف من النفقات في هذه الاصلاحات امكنهُ ان يفي نحو اربعين الف غرش من الديون التي على الكرسي. وشكَّل لجنتين من العوامّ والاكليروس للنظر في شؤون الوقف

وممَّا يُذكر لهُ فيشكر اهتمامهُ في اكليروسهِ ومحبَّتهُ لهم. وكان يبذل الجهد في ان يعيشوا العيشة الاهلة برتبتهم السامية ويزيدوا كلَّ يوم فضلًا وصلاحًا. وكان الاسقف البار يتقدَّمهم في طريق القداسة فينعش فيهم روح الغيرة والبرّ بمثلهِ اكثر منهُ باقوالهِ

فكلُّ هذه الاعمال الخطيرة مع ما كان يفرضهُ على نفسهِ من الصوم والسهر الطويل وحصر الفكر في ادارة امور ابرشيَّتهِ المتعددة فضلًا عمَّا كابدهُ من برد حلب القارس وحرّها اللافح قد اثرَّت بصحَّتهِ لكنهُ لم يُبالِ وداوم على اشغالهِ الى صوم سنة ١٨٩٥ فباشر الرياضات المتوالية وكان يعظ ثلاث مرَّات في النهار وهو مع ذلك يصوم الى الظهر ولا يأكل غير الزيت فما مرَّ عليهِ عشرة ايَّام حتى أُصيب بلقوة بفكّهِ الايسر مع شلَل في القلب فاضطرَّ الى ملازمة الفراش وحكم الاطباء بقضاء الضربة

لكنهُ بعد مدَّة رأى الأُساة بعض التحسُّن في صحَّتهِ فاشاروا اليهِ بالاوبة الى لبنان لعلَّهُ يجد في هواء الوطن دواء لدائهِ ففعل بعد استئذان غبطة البطريرك وزايل ابرشيَّتهُ مخلفًا وراءهُ الاسف والكآبة

فعاد الى لبنانهِ العزيز وتنقَّل مدَّة خمسة اشهر في صرودهِ الطيّبة حتى تحسَّنت حالهُ الَّا انَّ ساعة جزائهِ كانت دقَّت فانتكس في ضحى عيد السيّدة البريَّة من دنس الخطيئة الاصليَّة وهو نازل الى بيروت مع سيادة المطران يوسف نجم النائب البطريركي فما بلغ قصبة جونية حتى احسَّ بدوار قوي عليهِ بعد ساعة فذهب بحياتهِ الثمينة وقد توفّي بكل هدوءٍ بعد ان تزوَّد بالاسرار المقدَّسة وطلب الغفران الكامل وكان آخر ما وجَّه اليهِ خاطرهُ اولادهُ الروحيين فاسلم روحهُ وهو يدعو لهم ويباركهم

ولا نصف ما اصاب طائفتهُ ومعارفهُ وخصوصًا ابناء رعيَّتهِ من الحزن على فقدهِ فانَّ القلم قصر عن وصف مثل هذه الرزيئة. امَّا جثَّتهُ الكريمة فنُقلت الى بكركي حيث صلَّى عليها رؤوس الملَّة واعيان الطائفة وأبَّن الفقيد خطباء مصقعون ثم أُودع

الرمس في سُهيلة مسقط رأسهِ بكل تجلة واكرام. وقد نُقل بعد ذلك بخمس سنوات الى قبر أُعدَّ لهُ في الجانب الايمن من مذبح الكنيسة الرعويَّة وهو يرقد اليوم هناك على رجاء القيامة وعلى ضريحهِ تُتلى هذه الابيات من نظم الخوري اسطفان الشمالي وقد ضمَّنهُ تاريخًا نقلهُ عن نظم اللآلي :

قضى جرمانس الراجي ثوابًا قضى رجلُ الخطابة والكمالِ
قضى حبرٌ لهُ في كلّ قطرٍ محامد خطَّها كِبرُ النمالِ
تربهُ غادر الشهباء تبكي لبترل ومن اخوانٍ وآلِ
وارّخ ومسهُ في ذيل رسمٍ كما قد قال في نظم اللآلي
ومن هجي يجني ارّختهُ فيبقى الرمس ذكرًا للشمالي

هذه لمعةٌ من ترجمة مثال الاحبار السيّد جرمانوس الشمالي توقفنا على بعض اعمالهِ الخطيرة الّا انَّ هذه الاعمال الظاهرة كانت كلا شيء بالنسبة الى ما اتَّصف بهِ باطنهُ من الفضائل كتقواهُ وروح عبادتهِ في مناجاة الله واتكالهِ على الربّ في الضيقات والبلايا والصبر على الملمَّات والسذاجة والنزاهة في المعاملات وسجايا أُخرى كثيرة اتَّصف بها رحمهُ الله يمنعنا ضيق المقام عن تعدادها

## ٢ المرسل

المطران جرمانوس ممَّن برَّزوا في ديارنا الشرقيَّة في الكرازة والتبشير فنال بذلك ذكرًا بعيدًا تجاوز لبنان وبلغ حدود الشام وفلسطين والقطر المصري حتى ضُرب بوعظهِ المثل. لكنهُ لم ينل ذلك عفوًا دون عناء بل اتَّصل اليهِ بالاستعداد الطويل والممارسة المتواصلة

واوَّل ما فكَّر فيهِ ان يطبع في قلبهِ الفضائل الرسوليَّة التي لولاها لكان كلام الواعظ «نحاسًا يطنُّ او صنجًا يرنُّ» وكان في صدرهِ غيرةٌ ملتهبة لخير النفوس التي فداها الربّ بدمهِ الثمين. وكان ابتدأ ان يشتغل بامر خلاصها حتى قبل كهنوتهِ وهو شماس فكان يجول في القرى المجاورة لمدرسة مار عبدا ويعلّم الاحداث التعليم المسيحيّ. وكان يوجّه دروسهُ الى هذه الغاية لكي يتَّخذ العلوم وسيلة لخلاص القريب. وذلك ما حملهُ على اتقان درس الاسفار المقدَّسة لعلمهِ انَّها موردٌ للواعظين يجدون فيها مادَّة واسعة وكنزًا لا ينفد لارشاداتهم وتعاليمهم فضلًا عمَّا في كلام الله من القوَّة السماويَّة المؤثرة في القلوب. وقد واصل هذا الدرس مدَّة كل حياتهِ حتى صحَّ فيهِ قولهُ عن غيرهِ :

هذيذهُ في كلام الله متّصلٌ يختار منهُ غذاء النفس كاللبنِ

ومما ساعدهُ ايضاً على ما نالهُ من الثمار الروحيَّة روح النزاهة والتجرُّد الذي عُرف بهِ في سياحاته الرسوليَّة فانَّ سامعيهِ لدى علمهم بانَّ هذا الواعظ لا يطلب غير صالحهم كانوا يثقون بهِ ويصغون الى كلامهِ وينقادون الى تعاليمه. وكان يحبك فيهم لطفهُ ووداعتهُ فانهُ اجتذب بلين طباعهِ ودماثة اخلاقه كثيرين من الخطأة الذين كانوا يقصدونهُ كما قصد الابن الشاطر اباهُ مقرًّا بذنوبهِ تائبًا عن آثامهِ

وقد كان الله جمَّل المطران جرمانوس بكل الصفات الطبيعيَّة التي يعتبرها الناس في مبشِّريهم بالخلاص ومرشديهم الى الله من ذلك جبينهُ الوضّاح ولحيتهُ البيضاء ونظرهُ العميق المملوّ عذوبةً وملامح وجههِ النسكيَّة وطلعتهُ الزهديَّة ووقفتهُ الخشوعيَّة بحيث لم يرهُ احد على متن المنبر الَّا تذكَّر بمن قيل فيهِ: «صوتٌ صارخ في البريَّة»

ومما خصَّهُ الله بهِ انهُ كان في وعظهِ طلق اللسان رخيم الصوت سريع الخاطر قويّ الحافظة امينها لا يتلعثم بحرف ولا يتردَّد بكلمة ولا يحصر عن تعبير ولا يسرع بعبارة بل كان يتساقط الكلام من فيهِ كانهُ الدرُّ المنظوم في سلك المعاني اللطيفة والتصوُّرات المبتكرة

وكان فضلًا عن ملكة البيان المذكورة آنفًا رقيق القلب سريع التأثُّر يخرج كلامهُ من قلبهِ دون تصنُّع فيلج قلوب السامعين ويملك عواطفهم ويستنزف دموعهم مع ما أُوتي من قوَّة الحجَّة وجلاء البرهان عقلًا ونقلًا لتضلُّعهِ في الدروس الفلسفيَّة واللاهوتيَّة وهذيذهِ في الاسفار المنزلة. ولو راجعنا ديوانهُ لرأيناهُ وصف نفسهُ حيث قال في غيرهِ وقد احسن:

| | | |
|---|---|---|
| | القائلُ الدرُّ والمنى يرصّعها | بالنظم والنثر والانذار بالسُّنَنِ |
| وبقولهِ: | لديهِ صفات موسى في خطابٍ | وغيرةُ قلب ايليّا النيورِ |
| وقولهِ: | ويعدُّ صوتًا في الخطاب لسامعٍ | يونانَ في جوف السفينة نائمًا |
| وقولهِ: | فترى القلوب تذوب عند خطابهِ | وتؤوب بين تفجُّعٍ وتصدُّعِ |
| وقولهِ: | فتسمع عند خطبته شهيقًا | وقرعَ الصدر حيث الطرفُ هامٍ |

ولو اتَّسع بنا المجال لتبعناهُ في البلاد التي طافها كلبنان وانحاء الشام وحلب والجليل وفلسطين ومصر اذن لوجدناهُ عاملًا نشيطًا في كرم الربّ يحصد حيثما سار. حصادًا وافرًا والشعوب تزدحم حول منبرهِ دون تمييز بين غنيّ او فقير وجيه او حقير رئيس

او مرؤوس وربّما كان يتكلّم ساعةً او ساعتين والناس في استماعهِ كأن على رؤوسهم الطير وكان كلامهُ يلذّ البلغاء والعامّة لمزجهِ بين الطلاوة والسذاجة وبين المعاني الرفيعة والامثال الدارجة والتشابيه القريبة المنال فتمّ بشخصهِ ما نظمهُ في مدح المطران يوسف جعجع:

ما قام يوماً بالمنابر واعظاً إلّا واعطى كلّ نفس ما تبي
ان شئتَ تشبيهاً لهُ في وعظهِ قُلْ مثل موسى يوم وضع البرقع
حاكاهُ في نفس البهاء نظير ما ضاهاهُ في هذي الصفات الاربع
وهي الوداعةُ والبشاشة والتقى والنبرةُ الكبرى على المتفجع

ولا عجب بعد هذا اذا رأيناه قضى اجلهُ شهيد الانذار والوعظ اذ لم يُصبهُ الداء الذي ذهب بحياتهِ إلّا لانهُ حمّل نفسهُ فوق طاقتها في المواعظ والارشادات ليس فقط في كنيسة طائفتهِ بل في كنائس الطوائف الكاثوليكيّة كلّها اثابهُ الله واجزل جزاءهُ في فسيح جنانهِ

٣ المؤلف

صرف الحبر جرمانوس الشمالي حياتهُ في التدريس والرسالات والقاء المواعظ فلا غرو ان قلّت مصنّفاتــهُ وهو لم يتفرّغ للتأليف. ومع هذا فقد ترك من بعدهِ كتباً مفيدة غذت النفوس ولا تزال باقاويق البرّ والصلاح. من ذلك انهُ اعتنى بتنقيح كتاب روضة الواعظ الذي عرّبهُ الخوري انطون آصاف وطُبع في المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين وكذلك اعاد النظر باشارة سيادة المطران يوسف الدبس في بعض الكتب الطقسيّة فاصلح عبارتها كخدمة القدّاس اليوميّة وكتاب الافراميّات اي المدائح التي تُتلى في القدّاس وكتاب الزياحات والرتب

وعُني ايضاً بمعاونة رفيق رسالاتهِ الخوري اسطفان الشمالي بجمع ما كان منثوراً من مواعظهِ في وُرَيقات كادت تلعب بها ايدي الضياع فجاء كتاباً جامعاً سهل العبارة وقد سمّاه كتاب لمحة العين زفّهُ الى كهنة الرعايا ليساعدهم على كسر الخبز الروحي للاغنــام الناطقة وقد نُشر هذا الكتاب بالطبع في جزئين واليوم قد نفدت نسخهُ لتوارد الكهنة عليهِ. ولا عيب في هذا الكتاب إلّا أن تحيةُ نفسُ كاتبـهِ لانّ السيف بضاربهِ كما قيل

وللمطران جرمانوس ديوان شعر ألمعنا اليهِ جمع فيهِ ما نظمهُ من القصائد في كل

ابواب الشعر كالمديح والرثاء والاناشيد والتواريخ وغير ذلك وقد سمّاهُ نظم اللآلي للحبر الشمالي وطبعهُ في حلب سنة وفاته بالمطبعة المارونيَّة المتجدّدة بعنايتيه . وحب الاقتصار يمنعنا من ذكر انموذج منها فنحيل القارئ الى مطالعة هذا الديوان ليرى ما فيهِ من المحاسن كجودة النظم وسهولة التعبير وابتكار المعاني . وكان الفقيد شاعرًا مطبوعًا قال الشعر عفوًا دون درسٍ سابقٍ على استاذٍ وكان قبل دخولهِ مدرسة مار عبدا يقول الشعر العامّي بديهًا يودعهُ التصوّرات البديعة والمعاني الحسنة ثم طالع كتب العروض بنفسه فنظم القصائد الجيّدة . وكان في شعرهِ يطلب المعاني قبل الالفاظ ولذلك يُرى في بعض ابياتهِ شيء من الركاكة . ولا شكَّ انهُ لو تفرَّغ للنظم واعمل النظر في دواوين من تقدَّمهُ لكان عُدَّ من شعراء عصرهِ المبرّزين

وكان ينبغي علينا في الختام ان نذكر شيئًا من مراسلاتهِ فانَّها مثال المكاتبات الاهليَّة الخالية من كل تصنُّع مع ما فيها من سلامة الذوق وجودة التعبير والتجافي عن الكلفة والاسترسال في المعاني الليّنة والعواطف الوداديَّة . ودونك رسالة نثبتها هنا لتعريف طريقتهِ في الرسائل كتبها الى ابنتي اخيهِ المنضمّتين الى رهبانيَّة القديس يوسف في مدينة ليون :

« انهُ لدى رجوعنا من شغل الرسالة الى الدير لاخذ الراحة قليلًا وتشديد ما يمكن ان يكون ارتخى من عزائم القوى لنتمكن من تجديد العمل بحرارة ونشاط في ابتداء الصوم المقدَّس القادم قد ورد لنا تحريركما فتلقيناهُ بنابة السرور وكان لنا بدء الراحة لما حواه من الإخبار المشير الى راحتكما التامَّة وسروركما بحالتكما السعيدة ما بين زهور فردوس ثانٍ مع يسوع آدم الثاني الذي هنّأنا بعيد ميلادهِ السعيد . واستشتمنا منهُ اقتطفتماهُ واهديتماهُ برسالتكما رائحة زنبق الطهارة ونردين التواضع وورد المحبَّة فلا برحتما مصونتين من كل كدر ومحروستين برعاية من يرعى بين السوسن ولا زلتما تودّعان عيدًا وتستقبلان عيدًا في ساحة الافراح مع مصافّ العذارى عروسات يسوع . الى ان تلتقي جميعًا في ذاك العيد الذي لا تنتهي افراحهُ ولا تصمت الالسنة عن التهنئة بهِ . ثم نقول اهلًا وسهلًا بالسَّنة الجديدة جعلها الله سنة مباركة تبشّر بالخير والاحسان في كل مكان . ونطلبان الدعاء بدلًا عن « صباحيَّتكما » في صباح الخير فهذا نقدّمهُ في كل صباح على يد مريم البتول التي تكمل ما ينقصهُ من شرائط القبول فالاولى ان يكون لنا ولجمعيتنا الحديثة نظيرهُ منكما ومن كامل جمعيتكما المقدسة المقبول دعاؤها والمشهور خيرها اشتهار الشمس رائعة النهار والضامَّة في سلك المحبة لآلئ استُخرجت من بحر هذا العالم فيزدان بأتقاها اكليل اليمة المقدسة . . .

ونقف عند هذا الحدّ طالبين منهُ تعالى ان يطيّب ضريح هذا الحبر المفضال والعبد الامين ويجمعنا وايّاهُ في مصافّ اوليائهِ الصالحين

# مطبوعات شرقية جديدة

**Der Islamische Orient**

von M. Hartmann, *Berlin* IV u. V 1902 SS. 103-193

الشرق الاسلامي

ذكرنا غير مرة هذه المجموعة التي وسمها صاحبها الفاضل العلّامة مرتين هرتمن بالشرق الاسلامي لبحثه فيها عن بلاد الاسلام وأحوال المسلمين. وهذا القسم الرابع قد خصّصهُ المؤلف بآسيا الوسطى فوصفها لا كمن رآها بالعيان بل استناداً الى ما سمعهُ وهو في الاستانة العلية من افواه بعض اهلها المسلمين ونقلاً عمّا عثر عليهِ في مكاتبها من المخطوطات عن تلك الاقطار لاسيما تركستان الصينية. وفي هذه المقالة فوائد عديدة لغويّة عن التركية القديمة التي يُعنى بعض المستشرقين بدرسها. ومن دأب المؤلف في ابحاثهِ هذه انهُ يستطرد الى امورٍ شتّى فيُكثر من ملاحظاتهِ ومنقولاتهِ لكنهُ ربّما جازف في الكلام ولم يستوفِ نصيبهُ من الحقيقة. وبينا نحن نكتب هذه الاسطر اذ وردنا القسم الخامس من هذه المجموعة وفيها ترجمة المانيّة لبعض الاقاصيص الشائعة في بلاد تركستان نكتفي اليوم بذكرها ه. ل

Die Parabeln des Herrn im Evangelium

exegetisch u. praktisch erläutert v L. Fonck S. J.

*Innsbruck, Fel. Rauch (Karl Pustet)* 1902. SS. 808.

امثال الرب في الانجيل مع شرحها نظريًا وعمليًا للاب فُنك اليسوعي

انّ الامثال التي ضربها الربُّ في انجيلهِ الشريف حاويةً حكمة سماويّة يشهد لها فطاحل العلماء غير المؤمنين فضلاً عن المسيحيين وسُذّج القرّاء. ومَن اعمل فيها النظر وجدها اوّل بدءٍ سهلة الادراك قريبة المنال لا تعتاص على الجهلاء فضلاً عن الحكماء. الّا انهُ لا يلبث ان يجد تحت هذه القشرة الظاهرة نواةً تتضمّن من المدارك السامية والمقاصد الجليلة ما تعجز عن فهمهِ العقول النيّرة ولذلك ترى الذين كتبوا في شرح هذه الامثال يكاد لا يحصرهم عدٌّ من آباء ومعلمين وواعظين ومفسرين. وهاك اليوم حضرة الاب فُنك احد ثرلاء مدرستنا الكلية سابقًا واحد اساتذة كلية إنسبروك حالاً قد انجز مجلّدًا ضخمًا وضعهُ في تفسير هذه الامثال الربيّة في اللغة الالمانية. فقد

أجلنا فيهِ النظر فاذا هو حقيقةً خلاصة كلّ ما كتبهُ القدماء والمحدثون في هذا الصدد وقد صدَّر كتابهُ بمقدّمة ذات اربعة ابواب يجث فيها اجمالًا عن الامثال ومقامها وغاياتها ومقاصدها وطرائق شرحها . ثم حاول بان يجد فيها مقصدًا عموميًا يشملها جميعها فرأى أنها كلّها عائدة الى تعريف ملكوت السماوات الذي بشَّر بهِ المسيح فالبعض منها يبيّن حقيقة هذا الملكوت وجوهرهُ واعمالهُ والبعض يدلُّ على اصحابهِ واعضائهِ وما يترتّب عليهم من الفرائض ومنها اخيرًا ما يعرّف غاية هذا الملكوت ونسبتهُ الى اعضائهِ . وقد تتبّع المؤلف هذه الاقسام الثلثة ثمَّ اخذ كلّ مثل وشرحهُ شرحًا مستوفيًا من حيث الالفاظ والمعاني والظروف والمقاصد الخفيّة والاشارات الرمزيّة . وكثيرًا ما ينتقد على آراء العلماء الذين سبقوهُ فيصحّحها او يُفنّدها مستندًا الى ادلّة ساطعة لغويّة او علميّة لا ردَّ عليها . ومن خواصّ هذا الكتاب انهُ موردٌ للوعّاظ يستقون منهُ ما يحتاجون اليهِ في ارشاداتهم وتفاسيرهم الانجيلية . وفي الختام نتمنّى ان يُنقل هذا الكتاب وامثالهُ الى لغتنا ليكون دستورًا لدارسي الاسفار المقدَّسة وشارحيها

## ١ سلسلة بطاركة الطائفة المارونيّة

## ٢ شرح التكريسات والشرطونيّة

وكلاهما للعلّامة الطيّب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي

طُبعا في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٠٢ (ص ٢٣١ و ٢٩٣)

عُني بنشرها حضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كليّة القديس يوسف

قد شُغف جناب المعلّم رشيد افندي الخوري الشرتوني بتآليف فخر امّته وفريد عصرهِ البطريرك اسطفان الدويهي فاحبَّ ان يُخرجها من زوايا النسيان ليقتبس من فوائدها اهل الوطن عمومًا وابناء طائفتهِ خصوصًا فخدمهم بذلك خدمات متوالية تستحقّ الشكر والثناء . واليوم قد اهدانا هذين الكتابين وهما دليل جديد على همّتهِ التي لا تعرف الملل . والاوّل منهما يتضمّن سلسلة البطاركة الذي انتشر سابقًا في المشرق غير انَّ هذه الطبعة ابرزتهُ في هيئة جديدة انست الطبعة السابقة . كيف لا وقد زيدت عليها زيادات عديدة مأخوذة عن كتب خطية بمكتبة كليّة القديس يوسف وعن بعض الاوراق التي وُجدت في خزانة الكرسيّ البطريركي وعن دفاتر ارسلها احد افاضل

المرسلين اللبنانيين في الكريم وغير ذلك مما اطلعهُ عليهِ بعض الاصدقاء ولم ينشر قبلًا بالطبع نخص منهُ بالذكر نهج المراسلة في البطريركية المارونيــة وُجد مكتوبًا بخط البطريرك يوسف اسطفان في مكتبة مار يوسف الحصن وهو يدلُّ افصح دلالة على حالة البطاركة في الايام الماضية ومنهُ ايضًا براءة للبــابا بناديكتوس الرابع عشر في تقسيم الابرشيات مع براءة البابا بيوس السادس في قضايا تخصُّ الموارنة . وقد ألحق الطابع كتابهُ بفهرس هجائي مطوَّل للأعلام الواردة في هذه السلسلة وفي هذا العمــل من الفوائد ما لا يخفى

امَّا الكتاب الآخر وهو للدويهي ايضًا فيُقسم الى قسمين يشمــل الاوَّل شرح التكريسات والثاني شرح الشرطونية اي رتبة وضع اليد وقد طُبع لاوَّل مرَّة عن نسخة الخزانة البطريركية وكان الدويهي ارسل هذا الكتاب بعد تنقيحهِ الى رومية العظمى لِيُنشر بالطبع فتمَّ فائدته غير انهُ لم يتسنَّ لهُ حظُّ الطبع فبقي مدفونًا الى ان قام جناب الهمام المعلِّم رشيد افندي الخوري الشرتوني فاتمَّ رغبة المؤلف ولو بعد قرنين من الزمان . وفي هذا الكتاب بيانات جليلة عن الطقوس القديمة وهندسة الكنائس وكيفية الرتب التي يسعى اليوم غبطة السيد البطريرك مار الياس الحويك بردِّها الى اصولها . وقد سرَّنا ان الكلام في هذا الكتاب كما في الكتاب السابق بقي على حالهِ كما صدر من قلم المؤلف وفي هذا ما يزيد التأليف ثقةً واعتبارًا عند اهل العلم

وكنَّا نشتهي لو اقدم جناب متولي طبع هذا الكتاب على نشر الاصل المشروح اي رتبة الشرطونية نفسها التي جمعها الدويهي لتتمَّ بذلك الفائدة وتنقطع الشكوى من اختلاف نسخ الشرطونيَّة لكنهُ اعتذر في مقدَّمتهِ بان قد حال دون مرغوبهِ عدم تيسُّر النفقة اللازمة لمثل هذا المشروع ولنشر آثار أُخر للدويهي باقية دون طبع وهذا عذرٌ لا نقبلهُ ونحن نعلم انَّ في الطائفة المارونية رجالًا لا يبخلون ببذل الدرهم في سبيل مساعٍ خطيرة كهذه يقدّرونها حقَّ قدرها قرَّب الله الاماني وجازى كل المحسنين خيرًا ل . ش

## شذرات

عادة حميدة — قد علمنا بالمسرَّة ان تذكار الموتى بالصلوات واقامة القدَّاسات على نيَّتهم والجنازات لراحة نفوسهم مما يزيد مع الأيَّام انتشارًا ليس فقط

بين الكاثوليك لكن ايضاً بين الروم كما استدللنا على ذلك بعدَّة اعلانات في الجرائد وهي امري عادة حميدة قد سبق الروح القدس فمدحها حيث قال في سفر المكابيين (١٢: ٤٦) : انهُ لرأي مقدَّس تقوي ان تقدَّم الكفَّارة عن الموتى ليُحلُّوا من خطاياهم

الجرائد المصريَّة — وضعت ادارة البوسطة المصريَّة تقريرًا يُستفاد منهُ ان عدد الجرائد او المجلَّات في مصر بلغ ١٢٠ منها ٨٧ عربيَّة والباقية انكليزيَّة او فرنسويَّة. وبين الجرائد العربيَّة ٣٠ جريدة سياسيَّة وتجاريَّة وجريدتان هزليَّتان و ١٧ مجلَّة باللغة العاميَّة و ١٠ مجلَّات دينيَّة و٧ قضائية و ٥ طبية ومجلَّتان زراعيتان ومجلَّتان نسائيَّتان ومجلَّة مدرسية ومجلَّة ماسونية (زه) . امَّا الجرائد الاجنبية فاكثرها سياسية الَّا اربعة او خمسة منها تبحث في الطبّ او الشريعة. فترى انَّ الصحافة في مصر على تقدُّم ويا ليت الصحافين المصريين يتحاشون كاخوتهم السوريين فحش الكلام والطعن بالاشخاص وتمويه الباطل وبخس حقوق الدين والآداب

الدرَّاجات في فرنسة — بلغ عدد الدرَّاجات في فرنسة هذه السنة ١,٢٥٠,٠٠٠ تدفع للحكومة في السنة سبعة ملايين فرنكات كاجازة لسيرها في الطرقات

اعظم جنَّة للورود — قد انشأ احد المثرين الفرنسويين اسمهُ غراڤو (Gravereaux) جنَّة كبرى في جوار باريس في مكان يدعى لاهي (l'Hay) ضمَّنها كلَّ ما امكنهُ من اصناف الورد المعروفة في العالم وقد بلغ عندهُ عددها ستَّة آلاف شكل او فصيلة فمن دخل هذه الحديقة سُحر قلبهُ بما يجدهُ فيها من ضروب الورد ونظام هندستها والوانها البديعة وروائحها العطرة. وقد وضع لها في هذه السنة قائمة بيَّن فيها اصناف الورد الذي جمعهُ مع تعريف خواصه وتقاسيمه بحيث يتمكَّن العلماء النباتيُّون بمطالعة هذه القائمة من درس الورد درساً علمياً وافياً. والمسيو غراڤو يرخص لمن اراد ان يزور حديقتهُ ويفحص ورودها عياناً

## أسئلة وأجوبة

س سألنا من بيروت الخواجا ي. ب. الموراني لماذا اعتاد الشرقيون شقَّ كفن الميت عند مواراته التراب وهل هذا شائع عند الاوربيين

شق كفن الميت

ج اعتاد الناس في بعض البلدان ان يفتحوا التابوت ليروا الميت قبل مواراته التراب ليتحقَّقوا وفاة الميت ويتأكَّدوا هويَّتهُ. ولعلَّ الشرقيين اخذوا هذه العادة منهم او يريدون بذلك الوداع الاخير. وعلى كلّ حال لا يليق ان يُفتح التابوت في الكنيسة امام الناس كما يفعل البعض

وسألنا من غزَّة حضرة المرسل اللاتيني الاب ج. غات (G. Gatt) ما هو اسم ميَّافارقين باللاتينيَّة واليونانيَّة واين موقعها

ميَّافارقين

ج ميَّافارقين احدى مدن الجزيرة على مسافة يومين من آمد (ديار بكر) على شمالها الشرقيّ وهي اليوم بلدة صغيرة. وكان السريان يدعونها ميفرقط (ܡܝܦܪܩܛ) امَّا العرب فعرفوها باسم مدينة الشهداء وهو ترجمة اسمها الذي عُرفت بهِ عند الروم واليونان (Martyropolis)

س وسأل من حدتون حضرة الخوري نعمة الله نصَّار: ما هو ذاك الحجر الذي اشار اليهِ الربّ في متى (٢١: ٤٢): «انَّ الحجر الذي رذلهُ البنَّاؤون صار رأس الزاوية...» ومتى كان رذلهُ وكيف تمّ وضعهُ رأساً للزاوية

حجر الزاوية في متى (٢١: ٤٢)

ج هذه الآية التي استشهد بها الربّ قالها اوَّلًا داود في المزامير (١١٧: ٢٢) لما اضطهدهُ اعداؤهُ فنال بعد الذلّ فخرًا. لكنَّ داود كان رمزًا للمسيح كما اقرَّ بذلك كل المفسرين اليهود فضلًا عن النصارى وكانوا يدعون المسيح باسم الحجر او الصخرة كما جاء في شرح ربّي سليمان وفي بولس الرسول. فالربُّ بقولهِ ان البنَّائين رذلوا الحجر انَّما اراد بني اسرائيل الذين لم يقبلوا المسيح وطلبوا موتهُ. وكون هذا الحجر صار رأس الزاوية فتمَّ بقيامة الرب وانشاء الكنيسة اذ اعلمنا الرسول ان الكنيسة مبنيَّة على اساس الرسل والانبياء وان رأس الزاوية هو المسيح (افسس ٢: ٢٠) ل. ش

س سأل احد أدباء البلدة: هل تشتق لفظة هلمَّ من اللهمَّ

اشتقاق هلمَّ

ج لم يشتقَّ احدٌ هَلُمَّ من اللهمَّ. وانَّما اشتقُّوها من ها التنبيه ولُمَّ اي اجمع يريدون لُمَّ شعثك واقدم ل. ش